

**فقه الإمام عبد المغني المقدسي رحمه الله
في الدعوة إلى الله**

د. مسعود بن بشير بن ربيع الحمدي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

من ٣٥٣٩ إلى ٣٦٢٤

३०६.



المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وآله وصحبه وسلم تسليم كثيراً، أما بعد:

فإن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الواجبات قال سبحانه: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا^(١)، ومن أراد حسن الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام واتباعه فيما كان عليه صلى الله عليه وسلم، وفقه ما أمر به، وما نهي عنه، فلا بد له من فهم صحيح لأوامره ونواهيه، وفقه لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتحقق ذلك إلا باتباع لما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سار على هداهم من علماء السلف رضي الله عنهم.

ومعرفة أحوالهم وأخبارهم وما يدعون إليه، وما كانوا عليه، وكيفية تطبيقهم للسنة النبوية، وكيفية دعوتهم إليها، وأساليبهم ووسائلهم في ذلك، وأخذ الدروس والعبر في الدعوة إليه سبحانه، وهذا متيسر بإذن الله من خلال النظر في سير أولئك العلماء الأجلاء.

فإن العلماء هم ورثة رسول الله صلى الله وسلم، كما أرشدنا عليه الصلاة والسلام بقوله: (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)^(٢)، وكلما كان هناك عناية من الباحثين بسير علماء السلف، ودراسة لما فيها من أخبار ومواقف، كان الاقتداء بهم، أيسر معرفة وتطبيق لمن يريد المضي على سننهم، واقتداء والتأسي بهم، ليحصل له بذلك حسن التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) سورة الأحزاب: الآية رقم ٢١.

(٢) رواه أبو داود في سننه رقم (٣٦٤١)، والترمذي في سننه رقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في سننه

رقم (٢٢٣)، وأحمد في المسند ١٩٦/٥ رقم (٢١٧٦٣). وسنده حسن.

فعلماء السلف هم خير من فقه دين الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا كله رأيت كتابة بحث مختصر في بيان جهود أحد سادات علماء السلف، والذي كان عالماً ربانيا داعية إلى الله بقوله وفعله وجميع أحواله، متبعاً، إنه الحافظ الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي رحمه الله ورضي عنه، راجياً الله أن يكون هذا البحث عوناً للدعاة وطلاب العلم، وعامة المسلمين في حسن التأسي بعلماء السلف، ومنهم هذا الجهد الثقة الثابت، الذي نافح عن السنة ومعتقد السلف وتحمل في ذلك بلائاً ومحناً، وترك من بعده علماً نافعا من كتب ومؤلفات ورسائل، كما ترك سيرة عطرة، يستفيد منها كل من أراد أن يتصدى للدعوة إلى الله بحكمة وعلم، سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا الجهد، وينفعني والقراء به، إن ربي سميع الدعاء.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

كما أشرت من قبل فإن علماء السلف هم قدوة كل مسلم عبر العصور في تطبيق الإسلام الوسطي، ومعرفة السنة النبوية، وحسن العمل بها، وإن من هؤلاء العلماء الذين تنبغي العناية بسيرهم ودراسة الجانب الدعوي منها الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله. ولقد نظرت في سير الحافظ رحمه الله فلم أر من تكلم عن الجانب الدعوي في شخصيته، فرأيت أن أقدم هذا البحث الذي أرجو أن يكون إضافة للمكتبة الإسلامية، ولعلم الدعوة الإسلامية، فإن في حياة الحافظ عبد الغني رحمه الله مواقف كثيرة وقصصاً شيقة، وأخباراً تحمل في سطورها فوائد وقواعد دعوية، وتوجيهات لا غنى للدعاة عنها.

منهجي في البحث:

١- سأفيد بمنهج الاستقراء في جمع الأدلة من الكتاب والسنة، وجمع الآثار الواردة عن السلف الصالح رحمهم الله.

٢- سأفيد من المنهج التاريخي، بذكر أخبار تاريخية ثابتة، حصلت لبعض علماء الأمة، لها تعلق وثيق ببحثنا هذا خاصة في الابتلاء والمحن التي وقعت لأهل العلم.

٣- سأفيد من المنهج الاستنباطي، حيث سأذكر دروساً وفوائد في هذا البحث، مستقاة من عدد من النصوص والأخبار التي سأوردها من كلام الحافظ عبد الغني أو غيره من أهل العلم.

٤- رسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني مع عزو الآية باسم السورة ورقمها.

٥- تخريج الأحاديث النبوية، وذكر درجة كل حديث.

٦- عزو الآثار والأخبار الواردة في البحث من المصادر الأصيلة.

الدراسات السابقة:

لم أطلع على دراسة سابقة يمثل هذا العنوان، ولا لب موضوعه.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس علمية.

وجعلت تحت كل فصل مباحث، وتحت كل مبحث مطالب، وهي كالتالي:

✽ الفصل الأول: ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي: وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، وصفته ونشأته وطلبه للعلم:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته:

المطلب الثاني: مولده وصفته:

المطلب الثالث: نشأته وطلبه للعلم:

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه:

المطلب الأول: شيوخه:

المطلب الثاني: تلاميذه:

المبحث الثالث: ثناء العلماء عليه:

المبحث الرابع: زهده وعبادته وورعه وجوده وكرمه وإيثاره:

المطلب الأول: زهده:

المطلب الثاني: ورعه:

المطلب الثالث: إيثاره على النفس:

المطلب الرابع: عبادته:

المبحث الخامس: كرمه وجوده:

المبحث الخامس: محنته:

المبحث السادس: مصنفاته:

المبحث السابع: وفاته:

❖ الفصل الثاني: ملامح في تكوين شخصية الحافظ عبد الغني المقدسي الدعوية:

المبحث الأول: الجانب العقدي:

المطلب الأول: حسن سيرته، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

المطلب الثاني: صدقه وإخلاصه وطلبه الحق:

المطلب الثالث: ثباته على الحق:

المطلب الرابع: حرصه على لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

المبحث الثاني: الجانب التعبدية:

المطلب الأول: كثرة تنفله وعنايته بقيام الليل:

المطلب الثاني: عنايته بكثرة الوضوء:

المطلب الثالث: كثرة صيامه:

المطلب الرابع: كثرة ذكره لله سبحانه وتعالى:

المطلب الخامس: كثرة دعاءه وبكائه:

المطلب السادس: صدقاته ومساعدته لأصحابه وأصدقائه:

المبحث الثالث: الجانب العلمي:

المطلب الأول: عناية أسرته به:

المطلب الثاني: عناية مشايخه به:

المطلب الثالث: اجتهاده في طلب العلم:

المطلب الرابع: تحصيله العلمي الكبير:

المطلب الخامس: بذله للعلم:

- ❖الفصل الثالث: أساليب الدعوة ووسائلها عند الحافظ عبد الغني المقدسي
- المبحث الأول: الأساليب الدعوية عند الحافظ عبد الغني المقدسي:
- المطلب الأول: أسلوب الحكمة في الدعوة:
- المطلب الثاني: أسلوب الإحسان إلى المدعو وحب الخير له:
- المطلب الثالث: أسلوب التعليم:
- المطلب الرابع: أسلوب الترغيب:
- المطلب الخامس: أسلوب التحذير والترهيب:
- المبحث الثاني: الوسائل الدعوية عند الحافظ عبد الغني المقدسي:
- المطلب الأول: طريقته في التدريس:
- المطلب الثاني: الكتابة والتأليف والمراسلات:
- المطلب الثالث: انتقاله بالدعوة:
- المطلب الرابع: القدوة الحسنة:
- الخاتمة، ثم الفهارس العلمية (فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات).

الفصل الأول: ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي^(١)

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، وصفته ونشأته وطلبه للعلم:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته:

عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي المنشأة، الصالحي الحنبلي.

لقبه: تقي الدين. وكنيته: أبو محمد.

المطلب الثاني: مولده وصفته:

وُلد بجماعيل من أرض نابلس من أرض فلسطين، سنة ٥٤١هـ، على المشهور، وقيل: سنة ٥٤٣هـ، وقيل: سنة ٥٤٤هـ.

قدم من بيت المقدس إلى دمشق صغيراً، سنة ٥٥١هـ، مع جماعة من أقربائه من فضلاء المقادسة، فنزلوا أولاً بمسجد أبي صالح خارج الباب الشرقي لدمشق، فנסبوا إليه، فقيل لهم الصالحي، ثم انتقلوا منه إلى سفح جبل قاسيون، ضاحية دمشق.

صفته:

(١) مصادر الترجمة: معجم البلدان للحموي (٢/١٦٠)، التقييد لابن نقطة (ص ٣٧٠)، ذيل تاريخ بغداد لابن الديبشي (١٥/٢٧٣)، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (٢١/١٢٦)، التكملة لوفيات النقلة (٢/١٧)، الذيل على الروضتين لأبي شامة (ص ٤٦-٤٧)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/١١١)، سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٣-٤٧١)، العبر (٣/١٢٩)، «المقصد الأرشد لابن مفلح (٢/١٥٢)، ذيل التقييد للفاسي (٢/١٣٦)، البداية والنهاية لابن كثير (١٦/٧٣٢)، ذيل طبقات الحنابلة (٣/١-٥٦)، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٦/١٨٥)، حسن المحاضرة للسيوطي (١/٣٥٤)، تاريخ الصالحية (٢/٤٣٩)، شذرات الذهب لابن العماد (١/٤٩)، و٦/٥٦٢، التاج المكمل محمد صديق حسن خان القنوجي (ص ٢١٣)، الأعلام للزركلي (٤/٣٤)، معجم المؤلفين للبغداد (٥/٣٧٥).

قال الضياء المقدسي رحمه الله: وكان ليس بالأبيض الأمهق، بل يميل إلى السمرة، حسن الشعر، كث اللحية، واسع الجبين، عظيم الخلق، تام القامة، كأن النور يخرج من وجهه، وكان قد ضعف بصره من البكاء، والنسخ والمطالعة^(١).

المطلب الثالث: نشأته وطلبه للعلم:

اتجه الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله إلى طلب العلم في سن مبكرة، فقد تتلمذ في صغره على يد الشيخ محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي^(٢) - عميد أسرته - ثم تتلمذ على شيوخ دمشق وعلمائها، فأخذ عنهم الفقه وغيرها من العلوم. وقد خرج عبد الغني في رحلة علمية طويلة جاب فيها البلاد، وجلس إلى العلماء، وسمع من الشيوخ، فرحل إلى بغداد مرتين الأولى سنة ٥٦١هـ، وأقام بها أربع سنين، ورحل إلى مصر والإسكندرية الأولى سنة ٥٦٦هـ، وأقام هناك مدة، ثم عاد إلى دمشق، ثم عاد إلى الإسكندرية مرة ثانية سنة ٥٧٠هـ.

ورحل أيضا إلى حران، والموصل، وأصبهان، وهمدان، وقد حَبَّب إليه سماع الحديث، فأكثر من سماعه وبرع فيه وأتقنه، ثم عاد إلى دمشق واستقر فيها، ثم انتقل إلى مصر إلى أن توفي فيها سنة ٦٠٠هـ.

ولم يزل يطلب ويسمع ويكتب ويسهر ويدأب حتى صار علم الحفاظ وعالمهم والمشار إليه من بينهم، وعليه يدور الكلام في صحة الحديث أو تضعيفه، وصار الناس يقرنونه بأساطين علم الحديث.

قال ابن خالته الإمام الموفق صاحب المغني رحمه الله: كان جامعاً للعلم والعمل، وكان رفيقي في الصِّبَا، وفي طلب العلم^(٣). وقال أخوه العماد المقدسي: ما رأيت أحداً أشدَّ محافظةً على وقته من أخي، فإنه كان يصلي الفجر، ويشغل بالقرآن والذكر، ثم يعقد

(١) سير أعلام النبلاء (٤٤٦/٢١)، ذيل طبقات الحنابلة (١٩/٣).

(٢) انظر ترجمته في: البداية والنهاية (٢٠/١٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٥٣/٢١)، ذيل طبقات الحنابلة (١٣/٣).

مجلسًا للتحديث، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي تطوعًا حتى وقت القبولة، ثم ينام نومة، ثم يصلي الظهر، وبعدها يشتغل بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب^(١).

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه:

المطلب الأول: شيوخه:

تتلمذ عبد الغني المقدسي على عميد أسرته الشيخ محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي كما تقدم، واشتغل بالفقه والخلاف على شيخ الحنابلة أبي الفتح ابن المتي، والإمام أبي الفرج ابن الجوزي، ولما رحل إلى بغداد سنة ٦١٨هـ، درس على الشيخ عبد القادر الجيلاني، وكان يراعاه ويحسن إليه.

ومن شيوخه أيضا: أبو المكارم بن هلال، وسلمان بن علي الرحي، وأبو عبد الله محمد بن حمزة القرشي، وأبو طاهر السلفي، وأبو المعالي ابن صابر، وأبو الفتح ابن البطي، وأحمد بن المقرئ الكرخي، وأبو بكر بن النقور، وهبة الله الدقاق، وعبد الرزاق بن إسماعيل القرماني، وأبو موسى المديني، وأبو سعد الصائغ، وغيرهم. وقد ذكر الدكتور أحمد بن عطية الغامدي في مقدمة عقيدة عبد الغني أكثر من أربعين شيخا أخذ عنهم الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله^(٢).

المطلب الثاني: تلاميذه:

فقد حدث عنه وسمع منه وأخذ عنه العلم جمع كثير من أقرانه وتلاميذه، ومن أشهرهم: ابن خالته موفق الدين المقدسي صاحب كتاب المغني، وأولاده -يعني أولاد صاحب الترجمة- الثلاثة وهم: عز الدين محمد، وأبو موسى عبد الله، وأبو سليمان عبدالرحمن. ومن تتلمذ عليه أيضا: الحافظ ضياء الدين المقدسي، والخطيب سليمان بن رحمه الأسعدي، والبهاء عبد الرحمن، والفقير محمد اليونيني، والزين ابن عبد الدائم، وأبو الحجاج ابن خليل، والتقي اليلداني، والشهاب القوصي، وعبد العزيز بن عبد الجبار

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٣).

(٢) مقدمة عقيدة عبد الغني المقدسي لأحمد بن عطية الغامدي (ص ٢٥).

القلائسي، وعثمان بن مكي الشارعي، وأحمد بن حامد الأرناعي، وخلق كثير. قال الضياء المقدسي: وكان رحمه الله مجتهداً على الطلب، يكرم الطلبة، ويحسن إليهم، وإذا صار عنده طالب علم يفهم: أمره بالرحلة، ويفرح لهم بسماع ما يحصلونه، وبسببه سمع أصحابنا الكثير^(١). وقال أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الحافظ: ما رأيت انتشار الحديث في الشام كله إلا ببركة الحافظ عبد الغني. فإني كل من سألته يقول: أول ما سمعت على الحافظ عبد الغني، وهو الذي حرّضني^(٢).

المبحث الثالث: ثناء العلماء عليه:

كان العلماء يثنون على الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله مشيرين إلى سعة علمه. قال التاج الكندي: لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني، يعني المقدسي^(٣). وقال أبو نزار ربيعة بن الحسين: قد رأيت أبا موسى المدني، وهذا الحافظ عبد الغني أحفظ منه^(٤). وقال الضياء المقدسي: وكل من رأينا من المحدثين ممن رأى الحافظ عبد الغني وجرى ذكر حفظه ومذاكراته قال: ما رأينا مثله، أو ما يشبه هذا^(٥).

وقال أيضاً: ما أعرف أحداً من أهل السنة رآه إلا أحبه ومدحه كثيراً، سمعت محمود بن سلامة الحراني بأصبهان قال: كان الحافظ يصطف الناس في السوق ينظرون إليه، ولو أقام بأصبهان مدة وأراد أن يملكها ملكها^(٦). وقال ابن ناصر الدين: هو محدث الإسلام وأحد الأئمة المبرزين الأعلام، ذا ورع وعبادة وتمسك بالآثار، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر^(٧). وقال ابن العماد الحنبلي رحمه الله: وقد وصفه جمع من مشاهير العلماء

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٤٧).

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ الإسلام ٤٢/٤٤٨.

(٦) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، محمد بن عبد الرحمن المغراوي (٧/٢٥٦).

(٧) شذرات الذهب (٦/٥٦٢).

بأوصاف كثيرة تنبئ عن تمكنه من علم الحديث، وتحليقه في إطار علم الرجال، وصفاء سريرته، وقوة اعتقاده، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وغضبه لانتهاك حدود الله عز وجل^(١).

وقال ابن النجار: سمعت يوسف بن خليل بحلب يقول عن الحافظ عبد الغني: كان ثقة، ثبنا، ديناً، مأموناً، حسن التصنيف، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، دعي إلى أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فأبى، فمنع من التحديث بدمشق، فسافر إلى مصر، فأقام بها إلى أن مات^(٢).

المبحث الرابع: زهده وورعه وإيثاره وعبادته:

المطلب الأول: زهده:

مما اشتهر به الحافظ عبد الغني رحمه الله زهده عن الدنيا، ورغبته في الآخرة، مع ما توفر له في الدنيا من مال وجاه ومحبة عند السلاطين والتجار والعامّة، وقد شهد له بهذه الصفة كل من عرفه أو ترجم له: قال ابن الديبشي في تاريخه: كان زاهداً عابداً أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر^(٣).

وقال سبط ابن الجوزي: كان عبد الغني ورعاً زاهداً عابداً يصلي كل يوم ثلاثمائة ركعة ويقوم الليل ويصوم عامة السنة^(٤). وقال أيضاً: كان كريماً جواداً لا يدخر شيئاً ويتصدق على الأراامل والأيتام حيث لا يراه أحد، وكان يرقع ثوبه ويؤثر بثمن الجديد^(٥). وقال ابن رجب الحنبلي: وقد كان يُفتح له بشيء من الثياب والبرد فيعطي الناس، وربما كان عليه ثوب مرقع^(٦).

(١) مقدمة شذرات الذهب (٥٠/١).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٢٢١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٤٨/٢١).

(٤) البداية والنهاية (٧٣٤/١٦).

(٥) المصدر السابق.

(٦) ذيل طبقات الحنابلة (١٩/٣).

المطلب الثاني: ورعه:

قال ابن النجار: كان كثير العبادة، ورعا متمسكا بالسنة على قانون السلف^(١). وقال سبط ابن الجوزي: كان عبد الغني ورعاً زاهداً عابداً يصلي كل يوم ثلاثمائة ركعة، ويقوم الليل ويصوم عامة السنة^(٢). وقال الذهبي: وصنف التصانيف، ولم يزل يسمع ويكتب إلى أن مات، وإليه انتهى حفظ الحديث متناً وإسناداً ومعرفة بفنون مع الورع والعبادة والتمسك بالأثر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣). ومن صور ورعه رحمه الله ما حكاه ابنه أبو موسى أنه قال: قالت لي والدتي: قدمنا يوماً لوالدك طبيخاً من طبيخ فلان - لرجل سماه لي - وكان الحافظ لا يشتهي أن يأكل من طعامه، فأخذ لف ورفعها إلى فيه، ثم نظر إليه وقال: هذا من طبيخ فلان، أرفعه، ولم يأكل منه شيئاً^(٤).

المطلب الثالث: إيثاره على النفس:

مدح الله سبحانه وتعالى الأنصار بهذه الخصلة العظيمة فقال سبحانه وتعالى: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٥)، وأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بها فقال: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ^(٦).

يقول الإمام ابن سعدي رحمه الله: لن تنالوا وتدرکوا البر، الذي هو اسم جامع للخيرات، وهو الطريق الموصل إلى الجنات، حتى تنفقوا مما تحبون، من أطيب أموالكم وأزكاها، فإن

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١١/٣).

(٢) البداية والنهاية (٧٣٤/١٦).

(٣) العبر في خبر من غير (١٢٩/٣).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٤١/٣).

(٥) سورة الحشر: الآية رقم ٩.

(٦) سورة آل عمران: الآية رقم ٩٢.

النفقة من الطيب الحبوب للنفوس، من أكبر الأدلة على سماحة النفس، واتصافها بمكارم الأخلاق، ورحمتها وورقتها، ومن أدلّ الدلائل على محبة الله، وتقديم محبته على محبة الأموال، التي جُبلت النفوس على قوّة التعلق بها، فمن آثر محبة الله على محبة نفسه، فقد بلغ الذروة العليا من الكمال، وكذلك من أنفق الطيبات، وأحسن إلى عباد الله، أحسن الله إليه ووقفه أعمالاً وأخلاقاً، لا تحصل بدون هذه الحالة^(١).

وقد كان الحافظ عبد الغني ممثلاً لهذه الآية، عاملاً بمقتضاها، فقد قال منصور الغضاري رحمه الله: شهدت الحافظ في الغلاء بمصر، وهو ثلاث ليالٍ يؤثر بعشائه ويطوي، رأيت يوماً قد أهدى إلى بيت الحافظ مشمش فكانوا يفرقون، فقَالَ مِنْ حِينِهِ: فَرَقُوا* {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}^(٢).

وقال سليمان بن رحمة الأسعدي: بعث الأفضل ابن صلاح الدين إلى الحافظ عبد الغني بنفقةٍ وقمحٍ كثير، ففرقه كله^(٣). وقال الضياء المقدسي رحمه الله: وكان شيخنا جواداً، لا يدخر ديناراً ولا درهماً مهما حصل، أخرجه، لقد سمعت عنه أنه كان يخرج في الليل بقفاف الدقيق إلى بيوت متنكراً في الظلمة فيعطيهم ولا يعرف، وكان يفتح عليه بالثياب، فيعطي الناس، وثوبه مرقع^(٤).

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وذكر غير واحد: أنه وقع بمصر غلاء وهو بها، فكان يؤثر بعشائه عدة ليالي ويطوي^(٥).

المطلب الرابع: عبادته:

قال أخوه العماد المقدسي: ما رأيت أحداً أشدَّ محافظةً على وقته من أخي، فإنه كان يصلي الفجر، ويشغل بالقرآن والذكر، ثم يعقد مجلساً للتحديث، ثم يقوم فيتوضأ

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) (ص ٩٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٥٧/٢١-٤٥٨)، تاريخ الإسلام ٤٢/٤٥١.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٥٧/٢١)، تاريخ الإسلام ٤٢/٤٥١.

(٤) تاريخ الإسلام ٤٢/٤٥١، ذيل طبقات الحنابلة ١٩/٣.

(٥) ذيل طبقات الحنابلة (١٨٤/١).

ويصلي تطوعاً حتى وقت القبولة، ثم ينام نومة، ثم يصلي الظهر، وبعدها يشتغل بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب، فإن كان صائماً أفطر وإلا صلى تطوعاً من المغرب إلى العشاء، وبعد العشاء ينام إلى نصف الليل، ثم يقوم للتهجد والتطوع حتى قبيل الفجر، ثم يهجع هجعة وجيزة، ثم يقوم للفجر وهكذا دأبه أبداً^(١).

وكان يكثر من الوضوء، ربما توضأ من الليل سبع مرات أو ثمانياً، ويقول: ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت أعضائي رطبة^(٢). وكان يقول: سألتُ الله أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد، فقد رزقني صلاته^(٣). وقال فيه الحافظ ابن النجار: وكان كثير العبادة ورعاً متمسكاً بالسنة على قانون السلف^(٤). وقال أبو الثناء محمود بن سلامة الحراني التاجر بأصبهان: كان الحافظ عبد الغني نازلاً عندي بأصبهان، وما كان ينام من الليل إلا القليل، بل يصلي ويقرأ ويكي، حتى ربما منعنا النوم إلى السحر^(٥).
وقال الإمام الذهبي عنه: الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري المتبع^(٦).

ومن صور تعبده لله سبحانه وتعالى ما ذكره سبط ابن الجوزي قال: كان عبد الغني ورعاً زاهداً عابداً يصلي كل يوم ثلاثمائة ركعة ويقوم الليل ويصوم عامة السنة، وكان قد ضَعُف بصره من كثرة المطالعة والبكاء^(٧).

المبحث الخامس: كرمه وجوده:

(١) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥١)، ذيل طبقات الحنابلة (١٩/٣).

(٢) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٤٩).

(٣) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥٢).

(٤) تذكرة الحفاظ (١/١١٨).

(٥) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٤٩)، ذيل طبقات الحنابلة (١٥/٣).

(٦) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٣).

(٧) تذكرة الحفاظ (١/١١٨).

من أخلاق الإسلام الفاضلة وخصاله العظيمة خُلِقَ الكرم الذي يسود به المحبة والمودة والرحمة في المجتمعات، وبه يكون التآزر والتعاون والتضامن بين الناس، وهذا الخلق وهذه الخصلة اتصف بها الأنبياء والمرسلون والصالحون في كل الأمم.

قال الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ^(١).

وقد قصَّ الله علينا كرم الأنصار، فقال جل وعلا: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الكرم ابن الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام^(٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو كان لي مثلُ أحدٍ ذهبًا ما يسرُّني أن لا يمرَّ عليَّ ثلاث وعندي منه شيء، إلا شيء أَرَّصُدُه لَدَيْنِي^(٤). وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَادَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا"^(٥).

وقد ضرب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الكرم والسخاء والجود، كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله وعائشة أم المؤمنين وغيرهم رضوان الله عنهم أجمعين.

(١) سورة الذريات: الآية رقم ٢٤-٢٧.

(٢) سورة الحشر: الآية رقم ٩.

(٣) صحيح البخاري رقم (٣٣٩٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٨٩).

(٥) رواه الحاكم في المستدرک ١/١١١، والطبراني في المعجم الكبير ٦/١٨١. وصححه الألباني في

صحيح الجامع الصغير ١/٣٥٩.

وكان الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله آية في سخائه وجوده، فكان لا يدخر شيئاً، ديناراً ولا درهماً، مهما حصل أخرجه، وكان يخرج بالليل بقفاف الدقيق، إلى بيوت المحتاجين متنكراً في الظلمة، فيدق عليهم، فإذا علم أنهم يفتحون الباب، ترك ما معه ومضى لئلا يعرفه أحد^(١).

وقد كان يفتح له بشيء من الثياب والبرد فيعطي الناس، وربما كان عليه ثوب مرقع^(٢). وقد أوفى غير مرة سراً ما يكون على بعض أصحابه من الدين، ولا يعلمهم بالوفاء. قال الشيخ موفق الدين المقدسي عنه: كان جواداً يؤثر بما تصل إليه يده سراً وعلائية^(٣). وقال سبط ابن الجوزي: كان كريماً جواداً لا يدخر شيئاً ويتصدق على الأراامل والأيتام حيث لا يراه أحد، وكان يرقع ثوبه ويؤثر بثمن الجديد^(٤). وقال بدر بن محمد الجزري: ما رأيت أحداً أكرم من الحافظ؛ كنت أستدين يعني لأطعم به الفقراء، فبقي لرجل عندي ثمانية وتسعون درهماً، فلما تهيأ الوفاء، أتيت الرجل، فقلت: كم لك؟ قال: ما لي عندك شيء! قلت: من أوفاه؟ قال: قد أوفى عنك، فكان وفاه الحافظ، وأمره أن يكتم عليه^(٥).

المبحث الخامس: محنته^(٦):

تعتبر المحن التي تعرض لها الحافظ عبد الغني المقدسي امتداداً للمحنة التي تعرض لها الإمام أحمد بن حنبل من قبل، مع بعض الاختلاف، فكلاهما تعرض للمحنة بسبب ثباته على العقيدة الصحيحة، وتمسكه بمذهب السلف، وعقيدة أهل السنة والجماعة، ولكن

(١) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥١)، ذيل طبقات الحنابلة (١٩/٣).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١٩/٣).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٣/٢٠)، شذرات الذهب (٦/٥٦٣).

(٤) البداية والنهاية (١٦/٧٣٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٧).

(٦) انظرها في: سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٨)، ذيل طبقات الحنابلة (٣/٢٧). وانظر: مقدمة

كتاب عقيدة عبد الغني المقدسي بتحقيق أحمد بن عطية الغامدي (ص ٤٣-٥٥).

خصوم الإمام أحمد في محنته كانوا من رؤوس المعتزلة الذين كانت لهم دولة وصولاً أيام خلافة المأمون والمعتصم والواثق من بني العباس، في حين أن خصوم الحافظ عبد الغني في محنته كانوا من المخالفين والمناوئين له.

ولقد تعرض الحافظ عبد الغني لحملة شعواء قاسية من جانب هؤلاء في كل موطن، وبقعة زارها، نظراً لعلمه الواسع، ومحبة العامة له، واجتماع طلبه العلم عليه، ولحدته وصرامته عند النقاش، بحيث كان يفحم خصومه بشدة تجعلهم يتمنون هلاكه، كما أنه كان جريئاً في الصدع بالحق، لا يداهن ولا يداري بل هو مثل الصاعقة المحرقة على كل مخالف لله ولرسوله والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وإنك لتجد في سيرته رحمه الله ما لقي من بلاء وأذى من خصومه، مع صبره واحتسابه أجر ما أصابه من أذاهم ومكرهم، حتى قال الذهبي: وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة وقيامهم عليه^(١). فقد تعرض الحافظ عبد الغني المقدسي إلى أربعة محن:

١ - محنته في أصبهان:

دخل الحافظ عبد الغني رحمه الله أصبهان لسماع الحديث وإسماعه عدة مرات، وخلال زيارته المتكررة لأصبهان كثر عليه التلاميذ والطلبة وأحبه الناس.

وكان شيخه الحافظ أبو موسى المدني الإصبهاني (٥٨١هـ) قد أشار عليه أن يتبع أبا نعيم الأصبهاني، في كتابه: "معرفة الصحابة".

فأخذ عبد الغني على أبي نعيم نحواً من مئتين وتسعين موضعاً، في كتاب سماه: "تبيين الإصابة لأوهام حصلت لأبي نعيم في معرفة الصحابة".

وقد أثار هذا حفيظة بيت الحنّدي، فقد كانوا يتعصبون لأبي نعيم، وكانوا رؤساء البلد، فطلب الصدر الحنّدي عبد الغني، وأراد هلاكه، فاختموا وتحايل تلاميذه حتى أخرجوه خفية من أصبهان قبل أن يصلوا إليه، فيفتكوا به.

٢ - محنته في الموصل:

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٣).

خلال رحلة الحافظ العلمية دخل مدينة الموصل، وجلس في جامعها الكبير، وأخذ في تدريس كتاب "الضعفاء" للعقيلي، وعندما وصل لذكر أبي حنيفة شرح كلام العقيلي عن ضعفه، وكلام السلف فيه، فثار أهل البلد وكانوا من الأحناف وحبسوه وقرروا قتله، ولكن صديقه ابن البرنس أنقذه بحيلة ذكية، فأطلقوا سراحه.

٣- محنته في دمشق:

وهي الخنة الكبيرة التي لازمته حتى آخر حياته رحمه الله، وذلك أنه بعد خروجه من الموصل، دخل دمشق، وبدأ بنشر علمه.

فكان رحمه الله يقرأ الحديث يوم الجمعة بجامع دمشق، وليلة الخميس، ويجتمع خلق، وكان يقرأ ويبيكي ويبيكي الناس، حتى إن من حضره مرة لا يكاد يتركه، وكان في أثناء ذلك يذكر أحاديث النزول والصفات، ويبين عقيدة السلف ومذهبهم بعبارة جلية واضحة، فثار عليه مخالفوه في الاعتقاد، ورموهم بالتنجسيم.

ثم أمروا الناصح ابن الحنبلي بأن يعظ بعد الجمعة تحت المنبر، وقت جلوس الحافظ، وأمروه أن يجهر بصوته مهما أمكنه، حتى يشوش عليه، فأخر الحافظ ميعاده إلى العصر.

ولما كان في بعض الأيام والناصح ابن الحنبلي قد فرغ، فدسوا إليه رجالاً ناقص العقل من بيت ابن عساكر، فقال للناصح ما معناه: إنك تقول الكذب على المنبر؟ فضرب الرجل وهرب، وخُبي في الكلاسة. وهكذا تحقق لهم ما أرادوا، فمشوا إلى الوالي، وقالوا له: هؤلاء الحنابلة ما قصدهم إلا الفتنة، وهم .. وهم .. واعتقادهم. ثم جمعوا كبراءهم، ومضوا إلى القلعة، وقالوا للوالي: نشتهي أن تحضر الحافظ. قال الضياء المقدسي: وسمع مشايخنا، فأنحدروا إلى المدينة يعني: من سفح جبل قاسيون إلى دمشق: خالي الموفق، وأخي الشمس، والفقهاء. وقالوا: نحن نناظرهم. وقالوا للحافظ: اقعد أنت لا تجي، فإنك حاد، ونحن نكفيك. فاتفق أنهم أرسلوا إلى الحافظ فأخذوه، ولم يعلم أصحابنا، فناظروه وكان أجهلهم يغري به.

وكانت الغيرة قد أكلت قلوب المخالفين له أمثال القاضي ابن الزكي والخطيب الدولعي وطلبوا المناظرة منه بين يدي والي البلد واسمه برغش، وفي المناظرة احتد الحافظ عليهم

واشتد بعد أن علت حجته حجتهم فما كان من الأمير برغش إلا أن أمر بنفيه من دمشق، فدعا الحافظ علي من ظلمه وشرده فأصيب ابن الزكي بصرع شديد حتى خولط في عقله، حتى مات علي هذه الحالة وكذلك مات معه الدولعي وكلاهما في نفس العام الذي سعوا فيه علي الحافظ.

٤ - محنته في مصر:

بعدما حدث للحافظ من محن علي يد المناوئين والمخالفين له في دمشق، خرج منها إلى بعلبك، فأقام بها مدة، ثم توجه الحافظ إلى مصر، وأخذ في التحديث والتدريس وذلك سنة ٥٩٥هـ، فلم يُعجب ذلك مخالفوه الذين لم يكونوا ليرضوا بأي شيء سوى قتل الحافظ أو نفيه ومنعه من نشر عقيدة أهل السنة والجماعة، فأرسلوا بالعديد من الفتاوى إلى صاحب مصر وهو الملك عماد الدين بن السلطان صلاح الدين الأيوبي تشنع ضد الحنابلة عمومًا، والحافظ عبد الغني المقدسي خصوصًا، وترميهم بالتجسيم والتشبيه والزندقة، وهكذا حتى عزم عماد الدين علي طرد الحنابلة من كل أنحاء مصر، والتنكيل بهم، فدعا عليه الحافظ ألا يمكنه الله عز وجل من ذلك، فمات بعد عدة أيام وهو في السابعة والعشرين من العمر.

لكن لم ييأس المخالفون للحافظ عبد الغني والمعادون له من محاولاتهم الدؤوبة لإسكات الحافظ، فأخذوا في تأليب الملك العادل وولده الأمير الكامل محمد ضد الحافظ، وبالغ بعضهم فأفتوا بكفره وإباحة دمه وكتبوا أوراقاً بذلك، ولكن الله عز وجل نجاه من كل سوء، وحفظه بحفظه لعباده المؤمنين والصالحين.

المبحث السادس : مصنفاته:

لقد ترك الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله ثروة علمية كبيرة، أغلبها في علم الحديث، بلغت السبعين مصنفًا تقريبًا، وقد أطنب الحافظ ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة، والحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء في ذكر مصنفات الحافظ عبد الغني.

قال ابن خالته الإمام الموفق المقدسي رحمه الله: كان جامعاً للعلم والعمل، وورق العلم، وتحصيل الكتب الكثيرة، إلا أنه لم يعتمّر حتى يبلغ غرضه في روايتها، ونشرها^(١).

وقال ابن النجار رحمه الله: حدث بالكثير وصنّف في الحديث تصانيف حسنة، وكان غزير الحفظ من أهل الإتقان والتجويد، قيما بجميع فنون الحديث^(٢).

وقد أورد عبد الله بن محمد البصري مصنفات الحافظ عبد الغني في مقدمة كتاب عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، وقد بلغت ٥٦ عنواناً^(٣).

فمنها: المصباح في عيون الأحاديث الصحاح، نهاية المراد من كلام خير العباد، التهجد، تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين، ذكر القبور، فضل الصدقة، ذم الرياء، ذم الغيبة، وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تبين الإصابة لأوهام حصلت لأبي نعيم في معرفة الصحابة، مناقب الصحابة، الثاني من فضائل عمر بن الخطاب، النصيحة في الأدعية الصحيحة، الصفات، الآثار المرضية في فضائل خير البرية، اعتقاد الإمام الشافعي، الجامع الصغير لأحكام البشير النذير، التوكل وسؤال الله عز وجل، تحريم القتل وتعظيمه، تذكرة مختصرة في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد، حديث الإفك، رسالة في الجواب عن سؤال معنى لا إله إلا الله بكل مكان، وكل هذه مخطوطة أو مفقودة.

وأما كتبه المطبوعة فهي: الاقتصاد في الاعتقاد، عمدة الأحكام، الكمال في معرفة الرجال، محنة الإمام أحمد بن حنبل، الترغيب في الدعاء والحث عليه، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضائل رمضان، ذكر النار، التوحيد لله عز وجل، مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة.

المبحث السابع: وفاته:

(١) تذكرة الحافظ (١١٤/٤)، ذيل طبقات الحنابلة (١٣/٣-١٤).

(٢) تاريخ الإسلام (٤٤٤/٤٢)، الوافي بالوفيات (٢١/١٩).

(٣) مقدمة عقيدة عبد الغني المقدسي (ص ١٨-٢٢).

مات الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله في القاهرة في ربيع الأول سنة (٥٦٠هـ)، وهو دون الستين من عمره.

ويلخص لنا ابنه أبو موسى قصة وفاة الحافظ رحمهما الله جميعاً، فيقول: مرض والدي رحمه الله في ربيع الأول، سنة ست مئة مرضاً شديداً، منعه من الكلام والقيام، واشتد به مدة ستة عشر يوماً، وكنت كثيراً ما أسأله: ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة الله، لا يزيد علي ذلك. فلما كان يوم الإثنين جئت إليه، وكان عاديّ أبعث من يأتي كل يوم بكرة بماء حار من الحمام يغسل به أطرافه. فلما جئنا بالماء على العادة مدّ يده، فعرفت أنه يريد الوضوء، فوضأته وقت صلاة الفجر، ثم قال: يا عبد الله، قم فصل بنا وخفف، فقمّت فصليت بالجماعة، وصلّيت معنا جالساً. فلما انصرف الناس جئت، فجلست عند رأسه، وقد استقبل القبلة، فقال لي: اقرأ عند رأسي سورة "يس" فقرأتها، فجعل يدعو الله وأنا أؤمن، فقلت: هاهنا دواء قد عملنا تشربه؟ فقال لي: يا بني ما بقي إلا الموت، فقلت: ما تشتهي شيئاً؟ قال: أشتهي النظر إلى وجه الله تعالى. قلت: ما أنت عني راض؟ قال: بلى والله، أنا عنك راض، وعن إخوتك. فقلت: ما توصيني بشيء؟ قال: مالي على أحد شيء، ولا لأحد علي شيء. قلت: توصيني بوصية؟ قال: يا بني، أوصيك بتقوى الله، والمحافظة على طاعته.

فجاء جماعة يعودونه، فسلموا عليه، فرد عليهم السلام، وجعلوا يتحدثون، ففتح عينيه، وقال: ما هذا الحديث؟ اذكروا الله تعالى، قولوا: لا إله إلا الله، فقالوها، ثم قاموا. فجعل يذكر الله، ويحرك شفّته بذكره، ويشير بعينه، فدخل رجل فسلم عليه، وقال له: ما تعرفني يا سيدي؟ فقال: بلى. فقمّت لأناوله كتاباً من جانب المسجد، فرجعت وقد خرجت روحه. وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد، واجتمع الغد خلق كثير من الأئمة والأمرء ما لا يحصيه إلا الله، ودفناه يوم الثلاثاء بالقرافة^(١).

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥٧)، ذيل طبقات الحنابلة (٣/٤٣)، شذرات الذهب

الفصل الثاني: ملامح في تكوين شخصية الحافظ عبد الغني الدعوية

وفيه ثلاثة مباحث:

عندما نطالع سير عالم قدّم الكثير للأمة الإسلامية، وأفنى حياته في نفع المسلمين، وأسس طلاباً، وكتب وألف، فإننا لا بد أن نتنبه إلى هناك مقومات لشخصية هذا العالم، كونت شخصيته الدعوية، وانبتت عليها مسيرته الدعوية، وأسس قامت عليها نجاحاته، التي كانت في حياته وبعد وفاته إلى يومنا هذا.

وإن المطالع لحياة الحافظ عبد الغني رحمه الله الدارس لنشأته، وطلبه للعلم، ومعرفته لواقع الحياة العلمية التي نشأ في ظلها، يدرك أن الحافظ رحمه الله أفاد مما أحاط به من أجواء علمية، ونهل معينها، وتنعم بما أحيط به من رعاية كريمة من أسرته وشيوخه نشأته على حسن المعتقد والعبادة، وكريم الخصال، وجميل الأخلاق، فكان كل ذلك مقومات كونت شخصية الحافظ الدعوية، التي صنعت منه داعية ربانيا عالماً فقيهاً، نذر نفسه لنشر العلم وبذله، وتحمل المشاق في سبيل ذلك، وكابد الصعاب، محتسباً صابراً، لا ينظر لحظ نفسه، وإنما لما ينفع أمته، وينصر الإسلام وأهله، ويبث وينشر المعتقد الصحيح الوسطي، ونذكر في هذا الفصل جوانب الحافظ عبد الغني الدعوية وهي الجانب العقدي، ثم الجانب التعبدي، ثم الجانب العلمي. وقبل ذلك علينا ذكر تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً، فنقول:

لغة: تأتي بعدة معان منها: النداء، والطلب، والدعاء، والسؤال^(١).

واصطلاحاً: الدعوة إلى دين الإسلام، هي الدعوة إلى الإيمان بالله، وبما جاء به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى

(١) لسان العرب لابن منظور (٢٥٨/١٤).

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه^(١).

وقيل: هي الحث على فعل الخير، واجتناب الشر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل^(٢).

المبحث الأول: الجانب العقدي:

المطلب الأول: حسن سريرته، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

من المعلوم أنه لا يتصدى للاحتساب ولتحمل أعباء الدعوة ومشاقها، ويصابر في خوض غمارها، إلا من أحسن الله إليه بتصفية سريرته، ورزقه يقيناً وصدقاً وحسن الاعتقاد وصلابة في الدين، وهكذا كان الحافظ رحمه الله صادقاً مخلصاً ثابتاً على الحق، قوياً في بيانه، آمر بالمعروف، وناهيا عن المنكر، يشهد له بذلك العلماء الربانيون ومن ذلك:

ما قاله ابن العماد الحنبلي رحمه الله: وقد وصفه جمع من مشاهير العلماء بصفاء سريرته، وقوة اعتقاده، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وغضبه لانتهاك حدود الله عز وجل^(٣).

وقال ابن ناصر الدين: هو محدث الإسلام وأحد الأئمة المبرزين الأعلام، ذا ورع وعبادة وتمسك بالآثار، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر^(٤).

المطلب الثاني: صدقه وإخلاصه وطلبه الحق:

إن الصدق مع الله سبحانه والإخلاص في تعليم العلم سر القبول عند الله وعند عباده، ولذلك كان الحافظ عبد الغني رحمه الله يحرص على تحقيق ذلك في حياته العلمية والدعوية. قال أبو سليمان بن الحافظ عبد الغني: سمعت بعض أهلنا يقول: إن الحافظ

(١) مجموع الفتاوى (١٥٧/١٥).

(٢) مرشد الدعوة لمحمد الخطيب (ص ٢٤).

(٣) مقدمة شذرات الذهب (٥٠/١).

(٤) شذرات الذهب (٥٦٢/٦).

عبد الغني المقدسي سئل: لم لا تقرأ الأحاديث من غير كتاب؟ فقال: إنني أخاف العجب^(١).

ومتى كان العالم راغباً فيما عند الله، فإنه لا يبحث عن نصر آراءه، وإنما هو مقيم على طلب الحق، في كل مسألة يتعلمها أو يُعلمها، وهكذا كان منهاج الحافظ في بحثه عن الحق وتحريره له.

أيها القارئ المبارك إن من كان صادقاً مخلصاً طالباً للحق، مؤثراً له على الأهواء التي تتلجج في النفوس، فإن علمه يزداد ويزكو، ويعظم نفعه للناس، بأنواع من الخير، والعمل به، والدعوة إليه، من حسبة وتعليم، ودعوة ونصح. قال ابن العماد الحنبلي رحمه الله: وقد وصفه جمع من مشاهير العلماء بأوصاف كثيرة تنبئ عن تمكنه من علم الحديث، وحسن تحقيقه في علم الرجال، وصفاء سيرته، وقوة اعتقاده، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وغضبه لانتهاك حدود الله عز وجل^(٢).

وقال ابن ناصر الدين: هو محدث الإسلام وأحد الأئمة المبرزين الأعلام، ذا ورع وعبادة وتمسك بالآثار^(٣).

المطلب الثالث: ثباته على الحق:

إنك تقرأ في سير العلماء الربانيين أن من صفاتهم الثبات على الحق، والصبر في سبيل ذلك، وأرى أن ذلك يعود لصدقهم مع الله سبحانه في تعبدهم له سبحانه، وإخلاصهم له في طلب العلم، وقيامهم بالدعوة والاحتساب.

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٦/٣).

(٢) مقدمة شذرات الذهب (٥٠/١).

(٣) شذرات الذهب (٥٦٢/٦).

فقلوبهم متوجهة إليه سبحانه، متعلقة به، وجوارحهم عاملة بجدية سبحانه، ويهدي رسوله عليه الصلاة والسلام، فكان من جزاءهم ما يفيضه سبحانه عليهم من الثبات في كل كربة، وشدة، وفتنة.

قال الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسي: سمعت الحافظ يقول: سألت الله تعالى أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد فقد رزقني صلاته قال: ثم ابتلي بعد ذلك وأوذني^(١).

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: امتحن الشيخ ودعي إلى أن يقول لفظي بالقرآن مخلوق، فأبى، فمنع من التحديث، وأفقى أصحاب التأويل بإراقة دمه، فسافر إلى مصر وأقام بها إلى أن مات^(٢).

إن المتأمل في حياة الحافظ يجد أن أبرز ملامحها صدعه بالحق، ومن ثم صبره على الفتن بسبب ذلك، مما دعاه للانتقال من بلد إلى بلد آخر، بل تأمر علماء أهل الأهواء في تحريض الأمراء على إخراجهم ونفيه من بلده حتى توفي في مصر بعيداً عن أهله ووطنه، الذي نشأ فيه، وترعرع، وهذا ما حصل لغيره من العلماء المصلحين كالإمام البخاري في نيسابور ونواحيها^(٣)، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله وسجنه في مصر من سنة ٧٠٥ هـ - إلى سنة ٧٠٧ هـ^(٤)، وغيرهما.

فالواجب على الداعية إعداد عدة الصبر، والتزود به، مع يقين صادق، وانظر في سير أولئك الأعلام ليحسن تأسيه بهم، والإفادة من سير الحافظ عبد الغني في هذا الباب، مع تحري الحكمة في الدعوة، وضبط ما يبذله بميزان السلف، الذي يحفظ الداعية من أن يجنح إلى تطرف وغلو.

(١) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥٢).

(٢) نقله عنه ابن العماد في شذرات الذهب (٦/٥٦٢).

(٣) انظر: تاريخ بغداد (٢/٣٥٤)، تاريخ دمشق (٥٢/٩١)، سير أعلام النبلاء (١٢/٤٥٧).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٨/٥٠).

إن من أراد من العلماء والدعاة أن يكون رضىً عند ربه نافعاً للناس بعلمه، فعليه بالثبات على ما هداه الله إليه، من الحق صابراً على ما يلقي في سبيل ثباته، وسيكون من ثوابه العاجل قبول الناس لدعوته، ومنحهم له الثقة بعلمه وما يدعو إليه.

وهكذا كان الحافظ عبد الغني رحمه الله ثابتاً على عقيدة السلف، رغم ما لقي من الأذى، ولو كان راغباً في دنيا لغير وبدل، ورضي بمتاع زائل.

المطلب الرابع: حرصه على لزوم جماعة المسلمين وإمامهم:

إن المتتبع لسير علماء السلف يجد أن من صفات أولئك العلماء الربانيين أنهم يصدعون بالحق، حيثما كانوا لا يخافون في ذلك لومة لائم.

وإنك تجد أنه صلى الله عليه وسلم جعل كلمة الحق عند الظالم أفضل أنواع الجهاد، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر^(١)، وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: وقل الحق ولو على نفسك^(٢).

ولما احتضر أبو بكر الصديق أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال: إن وليتك على الناس فاتق الله وإلزم الحق، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا^(٣).

ولقد كان الحافظ عبد الغني المقدسي من العلماء المعروفين بقول الحق ولزومه، والصدع به أمام الأئمة والعلماء وأهل البدع وأهل الفسق والمعاصي، فقد قال الضياء: وكان لا يرى منكراً إلا غيره بيده، أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم رأيت مرة يريق حمراً فسل صاحبه السيف فلم يخف وكان قوياً فأخذ السيف من يد الرجل وكان يكسر

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٣٤٤)، والترمذي في سننه رقم (٢١٧٤)، وابن ماجه في سننه رقم (٤٠١١).

(٢) رواه أبو عمرو ابن السماك في حديثه، ورزين بن معاوية كما في جامع الأصول (١١/٦٨٨).
والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٥٤٢).

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح (٤١/١).

الشبابات والطنابير^(١). وقال الإمام الموفق رحمه الله: كان الحافظ لا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه، وكثراً مرة انكرنا على قوم وأرقنا خمرهم وتضاربنا، فسمع أخي أبو عمر، فضاق صدره، وخاصمنا، فلما جئنا إلى الحافظ طيَّب قلوبنا، وصوّب فعلنا، وتلا: يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ^(٢)(٣). قلت: وهنا مسألة مهمة للغاية ينبغي أن يتنبه لها من يطالع سيرة الحافظ عبد الغني وهي أنه مع صدعه بالحق وإنكاره البدع وأنواع الفسوق إلا أنه كان ملازماً لمنهج السلف في معاملة الحكام، فلم يدع إلى الخروج عليهم، ولا أثار فتنة، رغم ما أصابه من أذاهم وبغي بعضهم عليه.

قال الشيخ الموفق: وشاهدت بخطه يقول: والمملك العادل ما رأيت منه إلا الجميل أقبل عليّ وقام لي والتزمني ودعوت له، فقلت: عندنا قصور يوجب التقصير؛ فقال: ما عندك تقصير ولا قصور، وذكر أمر السنة فقال: ما عندك شيء يعاب في أمر الدين والدنيا، ولا بد للناس من حاسد؛ وبلغني عنه بعد ذلك أنه ذكر عنده العلماء فقال: ما رأيت مثل فلان، دخل عليّ فخيّل لي أنه أسد قد دخل عليّ^(٤). وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: امتحن الشيخ ودعي إلى أن يقول لفظي بالقرآن مخلوق، فأبى، فمنع من التحديث، وأفتى أصحاب التأويل بإراقة دمه، فسافر إلى مصر وأقام بها إلى أن مات^(٥).

إن هذا النهج الذي اتبعه الحافظ هو منهج علماء سلف الأمة، وفي مقدمه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فإنه صدع بالحق، وتحمل في سبيل ذلك السجن والجلد، ومنعه من

(١) تذكرة الحافظ (١١٦/٤).

(٢) سورة لقمان: الآية رقم ١٧.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٦٩/٢١).

(٤) تذكرة الحافظ (١١٣/٤).

(٥) نقله عنه ابن العماد في شذرات الذهب (٥٦٢/٦).

التدريس سنين، ومع ذلك كان نبراسا في امتثال النصوص النبوية في الصبر على جور السلطان، ولم يدع الإمام إلى خروج، بل حرص على جمع الكلمة ودفن الفتن^(١).
المبحث الثاني: الجانب التعبدية:

لقد تقدم الحديث عن ورع الحافظ وتقواه، وحسن عبادته لربه، وزهده إلى غير ذلك من مقومات، جعلته إماماً في الدين، ومدار ذلك كله على حسن العبادة، وسعة العلم، وثمره ذلك كله العمل بما علم العالم خشية لله، ومحافته منه، ودعوته إلى الله، واحتساب ذلك، فهذه ثمار صدق العلم، وحسن العبادة.

فمن المعلوم أن من أعظم ما يُعرف به العلماء الصادقون عبادتهم لله، واجتهادهم فيها، وغزارة علمهم، ومن ثم صدق خشيتهم لله وعملهم بما يعلمون دعوة وحسبة قال تعالى: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**^(٢)، فسرها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: إنما العلم خشية الله^(٣). وقيل للشعبي رحمه الله: أفتني أيها العالم، فقال: إنما العالم من اتقى الله^(٤). وقال ابن الأعرابي رحمه الله: لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً عاملاً^(٥).

وقال ابن القيم رحمه الله: السلف مجتمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات^(٦).

(١) انظر: قصة الإمام أحمد بن حنبل ومحنته: تاريخ بغداد (٤/٤١٢)، سير أعلام النبلاء

(١١/١٧٧)، البداية والنهاية (٤/٢٠٧).

(٢) سورة فاطر: الآية رقم ٢٨.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/٧٥٨).

(٤) تركية النفوس لأحمد فريد (ص ١٠٨).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/١٦٢).

(٦) زاد المعاد (٣/٩).

ولقد كان الحافظ عبد الغني رحمه الله من كبار العبّاد الذين يُعرفون بحسن عبادتهم لله، وكان هذا من أهم مقومات شخصيته الدعوية والعلمية، فإن من كان صادق العبادة لله، مخلصاً فيها لربه، مجتهداً في تحقيقها، كان ورع النفس تقي القلب، لتعليمه ووعظه وإرشاده، أحسن الأثر في هداية الخلق، وتزكية نفوسهم، وسوق قلوبهم إلى الله سبحانه. وإن سيرة هذا الإمام حافلة بأخبار حسن تعبدته، وبذلك نعلم سر قوة تأثيره في قلوب الخلق، وسر اجتماع قلوبهم عليه وعلى علمه وتعليمه.

المطلب الأول: كثرة تنفله وعنايته بقيام الليل:

كان الحافظ عبد الغني رحمه الله يحرص أن يكون ممن قال الله سبحانه وتعالى فيهم: كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ^(١)، ومن وصفهم بقوله: وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا^(٢)، وقوله: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ^(٣).

إن علماء السلف كان يعمرون أوقاتهم بطاعة الله ويحيون لياليهم بأفضل العبادات ألا وهي قيام الليل ولذلك نجد الحافظ يحرص على تحقيق ذلك في ليالي عمره بطاعة الله لقد كان الحافظ يستحضر ذلك الفضل الذي أخبر به النبي عليه والسلام في قوله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)^(٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومكفرة للسيئات، ومنهارة عن الإثم، ومطرودة للداء عن الجسد)^(٥).

(١) سورة الذاريات: الآية رقم ١٧.

(٢) سورة الفرقان: الآية رقم ٦٤.

(٣) سورة السجدة: الآية رقم ١٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة.

(٥) رواه الترمذي في سننه رقم (٣٥٤٩). وصححه الألباني في إرواء الغليل ٢/٢٠٠.

وعلى هذا كان السلف الصالح رحمهم الله، قال يحيى بن معاذ: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بتفكير، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين^(١).

إن الحافظ عبد الغني قد تحمل بلاغ رسالة الله تأسياً برسول الله عليه الصلاة والسلام والصحابة والتابعين قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان لا بد له من زاد يتزود به فقيام الليل خير زاد يستعين به.

قال سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا^(٢) ، وقال جل وعلا: وَمَنْ اللَّيْلَ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا^(٣).

فإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها، والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ والجهد المير الذي ينتظر الرسول صلى الله عليه وسلم وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل، وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير.

قال الشيخ السعدي: فسبحان الله، ما أعظم التفاوت بين ابتداء نبوته ونهايتها، ولهذا خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في أول أمره. فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به، ثم أمره بالصبر على أذية أعدائه، ثم أمره بالصدع بأمره، وإعلان دعوتهم إلى الله، فأمره هنا بأشرف العبادات، وهي الصلاة، وبأكد الأوقات وأفضلها، وهو قيام الليل، ومن رحمته تعالى أنه لم يأمره بقيام الليل كله^(٤).

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٢٧/١٣.

(٢) سورة المزمل: الآية رقم ١-٢.

(٣) سورة الإسراء: الآية رقم ٧٩.

(٤) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص ٨٩٢-٨٩٣).

ومن أخبار مداومة الحافظ عبد الغني لقيام الليل: ما قال الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن محمد المقدسي: سمعت الحافظ يقول: سألت الله تعالى أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد فقد رزقني صلاته^(١).

وقال أخوه العماد المقدسي: كان ينام بعد العشاء إلى نصف الليل، ثم يقوم للتهجد والتطوع حتى قبيل الفجر، ثم يهجع هجعة وجيزة، ثم يقوم للفجر وهكذا دأبه أبداً^(٢). وقال أبو الثناء محمود بن سلامة الحراني: كان الحافظ عبد الغني نازلاً عندي بأصبهان، وما كان ينام من الليل إلا القليل، بل يصلي ويقرأ ويبكي، حتى ربما منعنا النوم إلى السحر^(٣). ولهذا قال سبط ابن الجوزي: كان عبد الغني ورعاً زاهداً عابداً يصلي كل يوم ثلاثمائة ركعة، ويقوم الليل^(٤).

المطلب الثاني: عنايته بكثرة الوضوء:

لقد كان الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله يكثر من الوضوء في الليلة الواحدة، ربما توضع في الليل سبع مرات أو أكثر، وكان يقول: ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت أعضائي رطبة^(٥).

أيها المبارك إنها الصلاة التي هي سر العون من الله لكل مسلم، وللداعية خاصة، قال سبحانه وتعالى: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى^(٦)، وقال تعالى في نبي الله إسماعيل: وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا^(٧).

(١) تاريخ الإسلام ٤٢/٤٥٢.

(٢) تاريخ الإسلام ٤٢/٤٥١، ذيل طبقات الحنابلة ٣/١٩.

(٣) تاريخ الإسلام ٤٢/٤٤٩، ذيل طبقات الحنابلة ٣/١٥.

(٤) البداية والنهاية ١٦/٧٣٤.

(٥) تاريخ الإسلام ٤٢/٤٤٩.

(٦) سورة طه: الآية رقم ١٣٢.

(٧) سورة مريم: الآية رقم ٥٥.

فالمسلم - أي مسلم - داعية إلى الله تعالى، فليكن أولى الناس بدعوته وأولاده وأهله من الذين يلونه، فالله تعالى عندما كلف الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة قال له: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ^(١)، لأنهم أولى الناس بخيره ورحمته وبره، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم مسؤولة رعاية الأولاد على الوالدين وطال بهم بذلك.

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ^(٢) قال مقاتل: ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه. قال الكيا: فعلى تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب، وهو قوله تعالى: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا^(٣)(٤). وقال سبحانه وتعالى: فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ^(٥).

قال المناوي رحمه الله: لأن يؤدب الرجل ولده عندما يبلغ من السن والعقل مبلغاً يحتمل ذلك بأن ينشئه على أخلاق صلحاء المؤمنين، ويصونه عن مخالطة المفسدين، ويعلمه القرآن والأدب ولسان العرب، ويسمعه السنن وأقاويل السلف، ويعلمه من أحكام الدين، ما لا غنى عنه، ويهدده ثم يضربه على نحو الصلاة، وغير ذلك، ... فوقايتك نفسك وولدك منها أن تعظها وتزجرها بورودها النار وتقيم أودهم بأنواع التأديب، فمن الأدب الموعظة والوعيد والتهديد والضرب والحبس والعطية والنوال والبر، فتأديب النفس الزكية الكريمة غير تأديب النفس الكريهة اللئيمة^(٦). وهكذا نتعرف على أسس صدق السلف مع ربهم وثباتهم واجتهادهم في الدعوة، إنه الصلة الدائمة الصادقة القوية على كل حال وفي كل حال.

(١) سورة الشعراء: الآية رقم ٢١٤.

(٢) سورة التحريم: الآية رقم ٦.

(٣) سورة طه: الآية رقم ١٣٢.

(٤) تفسير القرطبي (١٨/١٩٦).

(٥) سورة الشرح: الآية رقم ٧.

(٦) فيض القدير ٥/٢٥٧.

المطلب الثالث: كثرة صيامه:

الصيام من أعظم الطاعات التي يُتَقَرَّبُ بها إلى الله، ويثاب المسلم عليه ثواباً لا حدود له، وبه تغفر الذنوب، وبه يقبَلُ الله العبد من النار، وبه يستحق العبد دخول الجنان من باب خاص أُعِدَّ للصائمين، وبه يفرح العبد عند فطره وعند لقاء ربه، وقد وعد الله سبحانه الصائمين والصائمات بالمغفرة والأجر العظيم فقال: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله: (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، واخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) (٢).

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من صام يوماً في سبيل الله بعَدَّ اللهُ وجهه عن النار سبعين خريفاً) (٣).

كما أن الصيام سبب في تربية النفس على الزهد في الدنيا والتقليل منها، وتربية النفس على معالي الأخلاق، ومن أعظمها الجود والكرم، وقد كان الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله مشهوراً بكثرة الصيام، حتى قال سبط ابن الجوزي: كان عبد الغني يصوم عامة السنة (٤).

المطلب الرابع: كثرة ذكره لله سبحانه وتعالى:

(١) سورة الأحزاب: الآية رقم ٣٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٩٠٤)، ومسلم في صحيحه رقم (١١٥١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٤٠)، ومسلم في صحيحه رقم (١١٥٣).

(٤) البداية والنهاية ١٦/٧٣٤.

للذكر فضائل عظيمة، قال تعالى: وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ^(١).
وقال: فَادْكُرُونِي أَدْكُمْ لِي وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ^(٢)، وبالذكر صلاح القلب وطمأنينته،
قال سبحانه: الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ^(٣).
وجعل من صفات المنافقين أنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً فقال: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ
وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا
(٤).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بكثرة ذكر الله، فعن عبد الله بن
بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء
أنتشيت به قال: لا يزال لسانك رطبا بذكر الله^(٥). وقال معاذ بن جبل: ليس يتحسر
أهل الجنة على شيء إلا ساعة مرة بهم ولم يذكروا الله فيها^(٦)، وقال مالك بن دينار: ما
تنعم المنتعمون بمثل ذكر الله تعالى^(٧).

قال الإمام ابن القيم: إن العبد ليأتي يوم القيامة بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد
هدمها من كثرة ذكر الله تعالى^(٨).

ومما اشتهر عن الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله كثرة ذكره لله سبحانه وتعالى، وأنه
كان له ورد يومي، فقد قال أخوه العماد المقدسي: كان يصلي الفجر، ويشغل بالقرآن
والذكر، ثم يعقد مجلساً للتحديث، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي تطوعاً حتى وقت القبولة^(٩).

(١) سورة العنكبوت: الآية رقم ٤٥.

(٢) سورة البقرة: الآية رقم ١٥٢.

(٣) سورة الرعد: الآية رقم ٢٨.

(٤) سورة النساء: الآية رقم ١٤٢.

(٥) رواه الترمذي في سننه رقم (٣٣٧٥)، وأحمد في المسند (١٨٨/٤).

(٦) شعب الإيمان للبيهقي (٥٥/٢).

(٧) الزهد لأحمد بن حنبل (ص ٥٣٧)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٣٥٨/٢).

(٨) الجواب الكافي (ص ١٦١).

(٩) تاريخ الإسلام (٤٥١/٤٢)، ذيل طبقات الحنابلة (١٩/٣).

وحكى الحافظ أبو موسى أن الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله لما كان في الموت جاءه جماعة يعودونه، فسلموا عليه، فرد عليهم السلام، وجعلوا يتحدثون، ففتح عينيه، وقال: ما هذا الحديث؟ اذكروا الله تعالى، قولوا: لا إله إلا الله، فقالوها، ثم قاموا. فجعل يذكر الله، ويجرك شفّيته بذكره^(١).

المطلب الخامس: كثرة دعاءه وبكائه:

البكاء من خشية الله من صفات الأنبياء والصالحين، قال تعالى: **أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله)^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم - ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه^(٤).

وكان الحافظ عبد الغني المقدسي كثير البكاء من خشية الله، قال الضياء المقدسي رحمه الله: وكان قد ضعف بصره من البكاء^(٥).

وكان رحمه الله مجاب الدعاء، فقد دعا على بعض أهل البدع لما ظلموه واشتكوه إلى الأمير برغش في دمشق فستجيب له، فروى الضياء المقدسي قال: فدعا الحافظ على من ظلمه وشرده فأصيب ابن الزكي بصرع شديد حتى خولط في عقله، حتى مات على

(١) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥٧)، ذيل طبقات الحنابلة (٣/٤٣)، شذرات الذهب (٦/٥٦٣).

(٢) سورة مريم: الآية رقم ٥٨.

(٣) رواه الترمذي في سننه رقم (١٦٣٣)، والنسائي في سننه رقم (٣١٠٨)، وأحمد في المسند

(٥٠٥/٢) من حديث أبي هريرة. وسنده صحيح.

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٦٠)، ومسلم في صحيحه رقم (١٠٣١) من حديث أبي

هريرة.

(٥) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٦)، ذيل طبقات الحنابلة (٣/١٩).

هذه الحالة وكذلك مات معه الدولي وكلاهما في نفس العام الذي سعوا فيه على الحافظ^(١).

المطلب السادس: صدقاته ومساعدته لأصحابه وأصدقائه:

فالصدقة فضلها عظيم، وأثنى الله على المتصدقين والمتصدقات كما في سورة الأحزاب، وأنه أعد لهم مغفراً وأجراً عظيماً، وقال تعالى: **قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ**^(٢). وقال جل وعلا: **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**^(٣).

والسنة زاخرة بالحث على الصدقة وبيان فضلها، فعن أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **والصدقة برهان**^(٤).

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"سبعة يظلمهم الله يوم القيامة في ظلله يوم لا ظل إلا ظله"**، وذكر منهم: **"ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه"**^(٥). وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً"**^(٦). وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **"إن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم"**^(٧).

(١) سير أعلام النبلاء (٤٥٨/٢١)، ذيل طبقات الحنابلة (٢٧/٣).

(٢) سورة إبراهيم: الآية رقم ٣١.

(٣) سورة التباين: الآية رقم ١٦.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٢٠/٣)، شذرات الذهب (٥٦٣/٦).

(٥) ذيل طبقات الحنابلة (٢٠/٣)، شذرات الذهب (٥٦٣/٦).

(٦) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٥٣/١٢)، وفي المعجم الأوسط (١٣٩/٦). وحسنه الألباني

في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣١/١).

(٧) رواه ابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٤٣٣).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فَإِنَّ لِلصَّدَقَةِ تَأْتِيراً عَجِيباً فِي دَفْعِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَاجِرٍ أَوْ مِنْ ظَالِمٍ بَلٍ مِنْ كَافِرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُ أَنْوَاعاً مِنَ الْبَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ خَاصَتَهُمْ وَعَامَتَهُمْ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مَقْرُونُونَ بِهِ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ^(١).
وقال في أسباب شرح الصدر: ومنها الإحسانُ إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً وأطيبهم نفساً وأنعمهم قلباً^(٢).

وقد كان الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله محباً للصدقة والإحسان إلى الناس، بل يؤثر ذلك عن نفسه وأهله وأولاده، قال الشيخ موفق الدين المقدسي عنه: كان جواداً يؤثر بما تصل إليه يده سرّاً وعلانية^(٣). وقال أخوه العماد المقدسي: كان آية في سخائه وجوده: فكان لا يدخر شيئاً، ديناراً ولا درهماً، مهما حصل أخرجته، وكان يخرج بالليل بقفاف الدقيق، إلى بيوتٍ متنكراً في الظلمة، فيعطيهم، ولا يُعرف^(٤). وقال بدر بن محمد الجزري: ما رأيت أحداً أكرم من الحافظ؛ كنت أستدين يعني لأطعم به الفقراء، فبقي لرجل عندي ثمانية وتسعون درهماً، فلما تمياً الوفاء، أتيت الرجل، فقلت: كم لك؟ قال: ما لي عندك شيء! قلت: من أوفاه؟ قال: قد أوفي عنك، فكان وفاه الحافظ وأمره أن يكتب عليه^(٥). وقال سليمان بن رحمة الأسعدي: بعث الأفضل ابن صلاح الدين إلى الحافظ عبد الغني بنفقةٍ وقمحٍ كثير، ففرقه كله^(٦).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣١).

(٢) زاد المعاد (٢/٢٤).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٣/٢٠)، شذرات الذهب (٦/٥٦٣).

(٤) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥١)، ذيل طبقات الحنابلة (٣/١٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٧).

(٦) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٧)، تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥١).

وقال سبط ابن الجوزي: كان كريماً جواداً لا يدخر شيئاً ويتصدق على الأرامل والأيتام حيث لا يراه أحد، وكان يرقع ثوبه ويؤثر بثمن الجديد^(١).

المبحث الثالث: الجانب العلمي:

المطلب الأول: عناية أسرته به:

إن المتتبع لسير كثير من العلماء والدعاة إليه سبحانه وتعالى، والذين بذلوا كل ما في وسعهم، واستنفدوا أعمارهم في تعليم الناس الخير، والدعوة إلى الله، يجد أنهم نشأوا في دوحات صلاح وتقوى ورياض غناء بمحبة العلم والشغف بتحصيله، تحت رعاية أبوية صالحة تمتثل لأمر الله وأمر رسوله، مستنيرة بالكتاب والسنة، فإن القرآن يأمر كل من أراد النجاة لنفسه والنجاة لولده من الضلال والغي أن يقي نفسه وذريته سبل الضلال والردى والفتنة التي تورد النار، قال الله سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ^(٢).

وإن من خير ما ينشأ عليه البنون حسن صلتهم برحمهم بأن يعبدوه سبحانه أحسن العبادة وإن من أعظم العبادات الصلاة له جل وعلا رغبة ورهبة إليه، قال سبحانه: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا^(٣). والوالدان اللذان يريدان صلاح الذرية لا بد لهما من استشعار المسؤولية عن ما وهبهما الله سبحانه من ذرية، قال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته...) الحديث^(٤).

وهذا كله له أثر بالغ في نشوء البنين والبنات الصالحاء الذين ينفع الله بهم والديهم، فهذا الإمام الجليل عبد الغني المقدسي رضي الله عنه قد اشتهرت أسرته بالعلم والصلاح، حتى

(١) البداية والنهاية (١٦/٧٣٤).

(٢) سورة التحريم: الآية رقم ٦.

(٣) سورة طه: الآية رقم ١٣٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧١٣٨)، ومسلم في صحيحه رقم (١٨٢٩) من حديث ابن

سميت بقعتهم بالصالحية في دمشق، وبنيت عائلته بها مدرسة مشهورة وهي المدرسة العمرية.

فنشأ صاحب الترجمة على العلم والصلاح، وأنشأ أولاده الثلاثة على ذلك، فكلهم صاروا علماء، وابن خالة صاحب الترجمة موفق الدين المقدسي صاحب المغني من علماء الحنابلة، وأخو صاحب الترجمة العماد المقدسي من العلماء أيضاً، وكذلك ابن عمته الضياء المقدسي من العلماء.

وزوجة صاحب الترجمة رابعة بنت أحمد بن قدامة المقدسية، كانت من المشتغلين بعلم الحديث، وكانت ذات دين وزهد وعبادة وصلاح.

وإنك حينما تطالع كما ذكرت لك في سير العلماء الربانيين يظهر لك أول ما تقرأ سيرهم عناية أسرهم بهم، تعليماً للقرآن وعلومه، وتعلماً للسنة وعلومها.

ولقد اعتنت أسرة الحافظ به في صغره في هذا الباب، ومما يدل على ذلك أنه رحمه الله حفظ القرآن وهو صغير، ورحل إلى طلب العلم وهو في سن مبكرة.

فيتضح لنا بهذا أن هذه الأسرة الفريدة كانت ذات سيرة محمودة حميدة، ومكانة علمية مرموقة، أثرت في أبنائها بما جعلهم من أوعية العلم حفظاً، ومن حذاقه عناية وتدقيقاً ونشراً.

المطلب الثاني: عناية مشايخه به:

إن لكل عالم رباني مشايخ تتلمذ عليهم، ونهل من علمهم، وأفاد من معين ما حصلوه، من علم غزير، حازوه بطول الطلب والصبر على لأواءه، وصدق العلامة بدر الدين ابن جماعة رحمه الله إذ يقول: " يجب أن يقصد المعلم بتعليم طلبته وتهذيبهم وجه الله تعالى، نشر العلم، وإحياء الشرع، ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل، واغتنام ثوابهم وثواب من

ينتهي إليه علمه، وبركة دعائهم له وترحمهم عليه، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم، وعداده في جملة مبليحي وحي الله وأحكامه... (١).

وإذا اعتنى العالم بتلميذه فإنه يحصل ثمار ذلك في الدنيا والآخرة، ويكون نفع الطالب له أكثر من نفع أهله له، قال ابن جماعة رحمه الله أيضاً: واعلم أن الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه، وأقرب أهله إليه، ولذلك كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع الناس به في حياتهم ومن بعدهم، ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده لكفاه ذلك الطالب عند الله تعالى، فإنه لا يتصل شيء من علمه إلى أحد فينتفع به إلا كان له نصيب من الأجر، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا مات العبد انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) (٢)، وإذا نظرت وجدت معاني الثلاثة موجودة في معلم العلم "انتهى كلامه" (٣).

وحيث نطالع سيرة صاحب الترجمة الإمام الفذ عبد الغني المقدسي رحمه الله نجد أنه تتلمذ في صغره على عميد أسرته الشيخ العلامة أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ثم تتلمذ على أشهر علماء دمشق.

وكان من مشايخ الحافظ رحمهم الله من يرى فيه تميز يكرمه لأجله، فإنه لما رحل إلى بغداد نزل عند الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله، فقرأ عليه شيئاً من الفقه والحديث، وأقام عنده نحو أربعين يوماً، بعدها مات الشيخ الجيلاني، وكان الجيلاني لا ينزل عنده الطلاب، ولكنه رأى منه ما لم يره في غيره، فاعتنى به.

(١) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم (ص ٢٥-٢٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم (ص ٣٢-٣٣).

قلت: وهذا يرشد كل عالم إلى تفحص أحوال طلابه فإن وجد العالم عند طالب من طلابه فقهاً ونباهة وحرصاً اجتهد العالم في حسن تعليمه لهذا الطالب وغمره بكرم تعليمه وحثه على الاستكثار والاستزادة من شتى العلوم التي لدى هذا العالم. ثم إن الحافظ لما رحل إلى الاسكندرية اعتنى به شيخه أبو طاهر السلفي رحمه الله، ومكنه من السماع والإجازة حتى قيل: لعله كتب عنه ألف جزء^(١).

المطلب الثالث: اجتهاده في طلب العلم:

إن من يريد أن يكون إماماً في العلم يفيد منه طلاب العلم، وتفيد الأمة من علومه، لا بد له من بذل كل ما أوتي من جهد في طلب العلم، فيبذل النفس النفيس من وقته وماله، ليحصل ما يؤهله لنيل أرفع الدرجات التي يهبه سبحانه لمن تقروا في رتب تحصيل علوم الشريعة ونشرها، قال تعالى: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^(٢)، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين^(٣). وإن من المعلوم أنه إنما يتفاضل العلماء بحسب سعة علمهم وعملهم به.

وقد كان الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله مجتهداً في طلب العلم وتعليمه، فرفعه الله في الدنيا والآخرة، قال الحافظ الضياء: كان رحمه الله مجتهداً على طلب الحديث^(٤). وقال محمود بن سلامة الحراني رحمه الله: كان الحافظ عبد الغني نازلاً عندي بأصبهان، وما كان ينام من الليل إلا القليل، بل يصلي ويقرأ^(٥).

وقال الضياء رحمه الله: وكل من رأينا من الحديث ممن رأى الحافظ عبد الغني وجرى ذكر حفظه ومذاكراته قال: ما رأينا مثله، أو ما يشبه هذا^(١).

(١) التاج المكلل لمحمد صديق حسن خان القنوجي (ص ٢٠٣).

(٢) سورة المجادلة: الآية رقم ١١.

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٨١٧).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (١٢/٣).

(٥) ذيل طبقات الحنابلة (١٥/٣).

إن اجتهاد الداعية في تحصيل العلوم الشرعية هو من أهم أسباب نجاحه وتوفيقه في دعوته، فلا دعوة إلا بعلم، فمن رسخت قدماه في طريق طلب العلم واستزاد واستفاد مما يحصل نفع الله بدعوته أكثر وأعظم من ذلك الذي تقاعس، واكتفى بقليل التحصيل.

المطلب الرابع: تحصيله العلمي الكبير:

إن الداعية الذي ينشد ثباتاً على طريق السنة ويأمل قبولاً واسعاً ينال به اهتداء من يدعوهم بدعوته لا بد له من زاد علمي غزير وهذا الزاد لا يتحصل بمجرد مطالعة عدد من الكتب أو حفظ يسير من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وإن كان هذا محمود لكن من المنتحم على الداعية وكل طالب علم يجب أن يكون كما يرجو لنفسه ثباتاً على الحق وصدقا في الدعوة وعظيم إخلاص مع قبول الناس لدعوته أن يجتهد في حفظ الكتاب العزيز وآلاف الأحاديث الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام، وكثرة المطالعة والمراجعة وخوض بحر التفقه والنظر في مسائل العلم مقتدياً بعلماء سلف الأمة ومنهم العالم الرباني الحافظ عبد الغني الذي كان رحمه الله يحفظ علماً جماً.

فقد قال أبو الطاهر إسماعيل بن ظفر: جاء رجل إلى الحافظ، يعني عبد الغني، فقال: رجل حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث. فقال: لو قال أكثر لصدق. وقال: شاهدت الحافظ غير مرة بجامع دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المنبر: اقرأ لنا أحاديث من غير الجزء. فيقرأ الأحاديث بأسانيدھا عن ظهر قلبه^(٢). قال الضياء المقدسي: كان الحافظ عبد الغني المقدسي أمير المؤمنين في الحديث، سمعته يقول: كنت عند الحافظ أبي موسى فنازعني رجل في حديث فقال: هو في البخاري، وقلت: ليس هو فيه. فكتب الحديث في رقعة، ورفعها إلى الحافظ أبي موسى يسأله عنه، فناولني الحافظ

(١) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٤٨).

(٢) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٤٧).

الرقعة وقال: ما تقول؟ هل هذا الحديث في البخاري أم لا؟ فقلت: لا. قال: فحجل الرجل^(١).

المطلب السادس: بذله للعلم:

كان الحافظ كشأن العلماء جواداً في تعليمه للناس العلم، فيبذل أوقاته في تعليم الناس الخير، وينصب في تعليم من يذاكره الحديث، سواء كان من الذين يعرفهم الحافظ من أهل بلده من طلابه، أو غيرهم، أم من الغرباء الطالبين للعلم، وهو بذلك قد نال شرف صلاة الله وصلاة المخلوقين على معلم الناس الخير، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)^(٢). وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: عالم عامل معلم يدعى كبيراً في ملكوت السموات^(٣).

ولقد سخر الحافظ رحمه حياته في بذل العلم وتعليمه أيام عمره ولياليه مشرقة بتلك المواقف النبيلة تجلى فيها صدقه في إنفاق أوقاته الثمينة في تعليم الناس العلم إنهما مواقف عرفها منه كل صاحبه أو لازمه أو قرأ سيرته.

يذكر لنا الضياء المقدسي بذل الحافظ عبد الغني المقدسي للعلم فيقول: كان رحمه الله مجتهداً على طلب الحديث، وسماعه للناس من قريب وغريب، فكان كل غريب يأتي يسمع عليه، أو يعرف أنه يطلب الحديث يكرمه ويبره، ويحسن إليه إحساناً كثيراً، وإذا صار عنده طالب يفهم شيئاً، أمره بالسفر إلى المشايخ بالبلاد، وأحياناً الله به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤).

وقال العماد المقدسي رحمه الله: كان الحافظ عبد الغني يصلي الفجر، ويشغل بالقرآن والذكر، ثم يعقد مجلساً للتحدث، - إلى أن قال - ثم يصلي الظهر، وبعدها يشغل

(١) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٤٦).

(٢) رواه الترمذي في سننه رقم (٢٦٨٥).

(٣) رواه الترمذي في سننه (٥٠/٥).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (١٢/٣).

بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب^(١). وقال أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الحافظ: ما رأيت انتشار الحديث في الشام كله إلا ببركة الحافظ عبد الغني. فإني كل من سألته يقول: أول ما سمعت علي الحافظ عبد الغني، وهو الذي حرّضني^(٢).

الفصل الثالث: أساليب الدعوة ووسائلها عند الحافظ عبد الغني المقدسي حينما تطالع ما أفاء الله به سبحانه على الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله من قبول له في نفوس الناس، وإقبالهم على دعوته، وانتشار تلك الدعوة، فلا بد لك أن تلمح أن الحافظ رحمه الله كان يعتني بجانب مهم، تقوم عليه النجاحات الدعوية، وهو العناية بالأسلوب والوسيلة الدعوية، فلا يحسن بعالم يريد نشر علمه أن يعرض عن العناية بالأساليب والوسائل الدعوية، فالمناطق بمن أراد النجاح والتوفيق في الدعوة والتعليم يولي هذا الجانب أعظم اهتمامه، ولقد كان الحافظ عبد الغني مثالا يحذى به في الأخذ بمجموعة من الأساليب الدعوية، تنوع العمل بها، كما كان يفيد من وسائل دعوية كثيرة كان لها الأثر في انتشار دعوته وقوتها ونفعها.

وقبل أن ندلف إلى ما أخذ به الحافظ من أساليب ووسائل يحسن بي أن أشير بإيجاز إلى المقصود بالأسلوب والوسيلة.

فأما تعريف الأساليب فهي لغة: جمع أسلوب، وهو الطريق أو الفن أو النمط أو المذهب^(٣).

واصطلاحاً: هو طرق العلمية والمناهج التي يعبر بها بالتفكير أو التعبير عن الشيء المطلوب.

قد عرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: هو الضرب من النظم والطريقة فيه^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (١/٤٧٣).

(٤) دلالات الإعجاز (ص ٦٩).

وقيل: الأسلوب هو الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه، إذ يعبر تعبيراً كاملاً عن شخصيته، ويعكس أفكاره وصفاته، ويبين كيفية نظره إلى الأشياء وتفسيره لها^(١).
وأما الوسائل فهي لغة: جمع وسيلة، والوسيلة ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وتأتي الوسيلة في اللغة لمعان عدة: منها: المنزلة عند الملك، والدرجة، والقربة، والرغبة، وتأتي بمعنى السرقة^(٢).

اصطلاحاً: عرفها الإمام القرافي بقوله: الوسائل هي الطرق المفضية إلى المقاصد^(٣).
وقيل: هي الطرق المفضية إلى تحقيق مصلحة شرعية^(٤).

المبحث الأول: الأساليب الدعوية عند الحافظ عبد الغني المقدسي:

المطلب الأول: أسلوب الحكمة في الدعوة:

لقد أرشدنا القرآن إلى ثلاثة أساليب في الدعوة إلى الله، وهي أسلوب الحكمة، وأسلوب الموعدة الحسنة، وأسلوب الجدل والتي هي أحسن.
قال الله سبحانه وتعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ^(٥)، وقوله جل وعلا: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ^(٦). وكل أسلوب من هذه الأساليب الثلاثة يمكن للداعية أعماله في الدعوة، والإفادة منه بحسب

(١) الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي (ص ٦٠-٦٣)، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية

لأصول الأساليب الأدبية لأحمد الشايب (ص ١٣٤).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٨٥/٥، لسان العرب لابن منظور

(٧٢٤/١١).

(٣) الفروق (٣٢/٢).

(٤) انظر: مقاصد الشريعة لابن عاشور (ص ١٤٨)، الوسائل وأحكامها في الشريعة الإسلامية لعبد

الله التهامي (مجلة البيان، العدد ٢٣٨).

(٥) سورة النحل: الآية رقم ١٢٥.

(٦) سورة العنكبوت: الآية رقم ٤٦.

مقتضى الحال، وبحسب نوع المدعو، وبحسب ما يدعو إليه الداعية، وإن أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن من أنفع الأساليب في إقناع من لديه شبهات تصده عن الحق أو حجج يضاد بها الكتاب والسنة أو أخطأ في فهم نصوص الكتاب والسنة.

فالمجادلة والجدل في الأصل هو الاحتجاج لتصويب رأي ورد ما يخالفه، فهو حوار وتبادل في الأدلة ومناقشتها؛ لأن من الناس من لا تقنعه الموعظة، ولا التوجيه والإرشاد، فيحتاج إلى مجادلة ومناظرة لإقناعه وتوجيهه.

وفي حكم المجادلة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيماناً عاماً مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرضٌ على الكفاية، فإن ذلك داخلٌ في تبليغ ما بعث الله به رسوله، ودخلٌ في تدبر القرآن وعقله وفهمه وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجبٌ على الكفاية منهم^(١)".

وقد انتشرت وكثرت المجادلة والمناظرة بين أهل السنة وأهل البدع بعد القرون الثلاثة المفضلة حينما صار لأهل البدع قوة وشوكة وتقرب من الأمراء والخلفاء، وكان مقصود أهل السنة والجماعة بالمجادلة هو إحقاق الحق وإبطال الباطل، ومن ذلك مناظرات الإمام أحمد بن حنبل مع المعتزلة والجهمية، ومناظرة الأوزاعي للقدرية وغير ذلك.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: قال كثير من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوا به كفروا^(٢).

ولقد كان المحافظ عبد الغني رضي الله عنه يفيد من أسلوب الجدل في دعوته إلى الحق، وينظر أهل الأهواء متى اقتضى الحال ذلك.

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣١٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٠٣).

ومن هذه المناظرات ما وقع بينه وبين أهل البدع في زمانه، قال محمود بن سلامة رحمه الله: ثم جمعوا كبراءهم ومضوا إلى القلعة إلى الوالي، وقالوا: نشتهي أن تحضر عبد الغني، فأنحدر إلى المدينة خالي الموفق، وأخي الشمس البخاري، وجماعة، وقالوا: نحن نناظرهم، وقالوا للحافظ: لا تجئ فإنك حد نحن نكفيك، فاتفق أنهم أخذوا الحافظ وحده، ولم يدر أصحابنا فناظروه، واحتمد وكانوا قد كتبوا شيئاً من الاعتقاد، وكتبوا خطوطهم فيه وقالوا له: اكتب خطك فأبى، فقالوا للوالي: الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شيء وهو يخالفهم، واستأذنه في رفع منبره فبعث الأسرى فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخرانة ودرابزين وقالوا: نريد أن لا تجعل في الجامع إلا صلاة الشافعية وكسروا منبر الحافظ^(١).

ومن أمثلة مجادلة الحافظ عبد الغني المقدسي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد قوله: (وتواترت الأخبار وصحت الآثار بأن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فيجب الإيمان به والتسليم له وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول... ونحن مؤمنون بذلك مصدقون من غير أن نصف له كيفية أو نشبهه بنزول المخلوقين... ومن قال يخلو العرش عند النزول أو لا يخلو فقد أتى بقول مبتدع ورأي مخترع)^(٢).

ومن أسلوب الحكمة عند الحافظ عبد الغني رحمه الله إرادته الخير لكافة الناس مسلمهم وكافرهم، وحرصه على إسلام من لقيه من الكفار أو شاهده، فقد قال الموفق: سمعت الحافظ يقول: أضافني رجل بأصبهان، فلما قمنا إلى الصلاة، كان هناك رجل لم يصل، فقيل: هو شمسي - يعني: يعبد الشمس - فضاقت صدري، ثم قمت بالليل أصلي والشمسي يستمع، فلما كان بعد أيام جاء إلى الذي أضافني. وقال: إن الشمسي يريد

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/١٨٢).

(٢) عقيدة تقي الدين عبد الغني المقدسي (ص ٥٠-٥٥).

أن يسلم، فمضيت إليه فأسلم، وقال من تلك الليلة: لما سمعتك تقرأ القرآن، وقع الإسلام في قلبي^(١).

المطلب الثاني: أسلوب الإحسان إلى المدعو وحب الخير له:

١- حب الخير للمدعو:

المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهذا ما يربي عليه النبي عليه الصلاة والسلام المجتمع المسلم، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير^(٢).

والعالم والداعية الرباني قدوة في فعل الخير بشتى صورته، والمسابقة إليه إنه يفعل الخير ويحث المدعويين إلى فعله الخير عملياً، فقد قال الشيخ الموفق المقدسي: كان الحافظ عبد الغني رفيقي، وما كنا نستبق إلى خير إلا سقني إليه إلا القليل^(٣). وإن من أعظم الخير الذي ينبغي للداعية الحرص على دلالة المدعو عليه، وحثه على نواله، هو الهداية إلى الصراط المستقيم، وكمال هذه الهداية.

وقد بيّن لنا القرآن الكريم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الخير للناس الذي كان أحسنه الهداية، وقد أحزنه عليه الصلاة والسلام إعراض من أعرض عن الهدى الصراط المستقيم قال سبحانه: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا^(٤)، وقال تعالى: فَلَا تَدْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ^(٥).

وهكذا كل عالم وداعية يتأسى برسول الله عليه الصلاة والسلام يحرص على دلالة المدعويين من طلاب علم وعموم الناس إلى كل خير وأنفع الخير حسن العبادة لله وتحقيق التوحيد

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/١٨٦).

(٢) رواه النسائي في سننه رقم (٥٠١٧)، وأحمد في المسند ٢٠٦/٣ رقم (١٣١٦٩).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (١/١٨٤)، تذكرة الحفاظ (٤/١٣٧٦).

(٤) سورة الكهف: الآية رقم (٦).

(٥) سورة فاطر: الآية رقم (٨).

وثبت في السنة النبوية من حديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه^(١). وزاد النسائي وأحمد في آخره: ما يحب لنفسه من الخير^(٢). وقد بوب البخاري لحديث أنس بقوله: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه^(٣).

وروى الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه^(٤).

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب^(٥).

وقد شهد كل من رافق أو تتلمذ على الحافظ عبد الغني المقدسي بهذا الخلق النبيل، فقال الشيخ الموفق: كان رفيقي وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقني إليه إلا القليل^(٦).

إن من حبه الخير لتلاميذه أنه كان يرشدهم ويوجههم بالرحلة في طلب العلم إذا رأى منهم فهما وحرصا، قال الضياء المقدسي: كان رحمه الله يكرم الطلبة، ويحسن إليهم، وإذا صار عنده طالب علم يفهم: أمره بالرحلة، ويفرح لهم بسماع ما يحصلونه، ويسببه سمع أصحابنا الكثير^(٧).

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٣)، ومسلم في صحيحه رقم (٤٥).

(٢) رواه النسائي في سننه رقم (٥٠١٧)، وأحمد في المسند ٢٠٦/٣ رقم (١٣١٦٩)

(٣) صحيح البخاري (١٢/١).

(٤) صحيح مسلم رقم (١٨٤٤).

(٥) رواه الترمذي في سننه رقم (٢٣٠٥)، والإمام أحمد في المسند ٣١٠/٢ رقم (٨٠٨١). وسنده

صحيح كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٠٢/٢).

(٦) ذيل طبقات الحنابلة (١٨٤/١)، تذكرة الحفاظ (١٣٧٦/٤).

(٧) سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٢١).

٢- العفو والتسامح:

من صفات أهل الفضل والصلاح العفو عمن ظلمهم، والتجاوز عنه في ذلك، وهذا ما رغب فيه القرآن والسنة، قال الله سبحانه وتعالى: وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ^(١)، وقال أيضا: وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^(٢)، وقال: وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا^(٣). وقال النبي عليه الصلاة والسلام في بيان فضل العفو: "ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"^(٤).

إن قدوة الدعاة لله سبحانه هو نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وقد أمره في غير آية بالعفو والصفح، ومن ذلك قوله تعاليفَصِّحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ^(٥) وقوله: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ^(٦).

وأما سيرته عليه الصلاة والسلام فعامرة بمواقف عفى فيها عمن ظلمه، ومنها عفوه عن قريش بعدما فتح الله له مكة، فدخلها معززا مكرما، فقال لقريش: يا معشر قريش، ما ترون أي فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء^(٧).

وعفوه صلى الله عليه وسلم على أبي سفيان بن حرب بعدما حاربه وجمع القبائل عليه في بدر وأحد والأحزاب، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن^(٨).

(١) سورة البقرة: الآية رقم ٢٣٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم ١٣٤.

(٣) سورة النور: الآية رقم ٢٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٠١/٤ رقم (٢٥٨٨).

(٥) سورة الحجر: الآية رقم ٨٥.

(٦) سورة الأعراف: الآية رقم ١٩٩.

(٧) سيرة ابن هشام (٤١٢/٢).

(٨) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٧٨٠).

وكان الصحابة وهم قدوة لكل من جاء بعدهم وقدوة في التحلي بصفات الدعاة الربانيين كانوا يطبقون صفة العفو والتسامح في تعاملهم، وقد أمرهم الله بالعفو والصفح فقال: وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١). فهذا أفضل الصحابة أبو بكر الصديق رضي الله عنه عفى عن مسطح تطبيقاً لتوجيه ربابي بلزوم العفو، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال أبي: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً^(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"^(٣).

إن بركات وخيرات عفو الدعاة بعضهم عن بعض وعفوهم عن من ظلمهم من المدعويين إضافة إلى الأجر العظيم الوارد في ذلك: سلامة القلوب من الحقد والضغينة، وانتشار المحبة والسلام، واتقاء الأضرار والعداوة التي قد تنجم عن انتشار الإساءة بين الناس وغير ذلك.

وكان إمامنا الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله مع كثرة ما أصابه من ضرر وأذية من أهل البدع والضلال، وتمكين الله له من الولاية والأمراء لم ينتقم لنفسه بل عفى وتسامح، فقد حدث للحافظ عبد الغني محن على يد المخالفين له في دمشق، خرج منها إلى بعلبك فأقام بها مدة، فقال له أهلها: إن اشتهيت جننا معك إلى دمشق نؤذي من آذاك، فرفض الحافظ حرصاً على السلامة وعدم إثارة أدنى فتنة بين المسلمين^(٤).

(١) سورة النور: الآية رقم ٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١٠٤/٦ رقم (٤٧٥٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٠١/٤ رقم (٢٥٨٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٦٣).

وهكذا الداعية لا ينتقم لنفسه، ولا ينتصر لها، إلا بما يدفع عن عرضه الأذى، أما ما عدا ذلك فإن الواجب عليه أن يصبر، والله ناصره.

٣- مواساته لأصحابه:

لقد وصف الله أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ورضي الله عن الصحابة بأنهم رحماء بينهم قال سبحانه: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ^(١).

قال الإمام السعدي رحمه الله: يخبر تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم أشدّاء على الكفار أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدّة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يجب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك تراهم رُكَّعًا سُجَّدًا أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود^(٢).

وهكذا كان التابعون ومن سار على خطى التابعين من أئمة السلف، ومنهم الحافظ عبد الغني فقد كان يواسي أصحابه وبعضهم ويناصرهم ويواسيهم وهو يريد بذلك تشبيتهم على الحق وبيانه والصبر في سبيل ذلك.

قال بدر بن جماعة: وسمعت أبا الثناء محمود بن همام يحكي عن رجل كان بمسجد الوزير، فجرى بينه وبين أصحاب الموقف شيء فلم يعطوه جامكية. قال: فبقينا ثلاثة أيام ليس لنا شيء، فدخلت يوم الجمعة أصلي، وسلمت بعد العصر على الحافظ، فقال لي: اقعد، فقعدت. فلما قام مشيت معه إلى خارج الجامع، فناولني نفقة وقال: اشتر ليبيتك شيئاً،

(١) سورة الفتح: الآية رقم ٢٩.

(٢) تفسير السعدي (ص ٧٩٥).

ومضى، فاشترت نصف خروف مشوي وخبزاً كثيراً، وحلواء واكترت حمالاً، ومضيت إلى أهلي فعددت ما بقي، فإذا هو خمسة وأربعون درهماً^(١).

٤- إحسانه لمحبيه وطلابه وشيوخه:

كان العلماء رحمهم الله في كل زمان ومكان الثلاثة الأسمى في الأمة في امتثال أوامر الشريعة وآدابها، يرجع إليهم الناس في كل شؤون دينهم ودنياهم، ومن أعظم خصائص العلماء رأفتهم ورحمتهم بالعامّة وتلاميذهم، وحرصهم على ما ينفعهم من خيري الدنيا والآخرة.

ولهذا عمل العلماء بوصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهم في قوله: "تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تُعلّمون، وليتواضع لكم من تعلمون، ولا تكونوا من جبابرة العلماء"^(٢).

فينبغي للمشايع والمعلمين والدعاة أن يحسنوا إلى عامّة المسلمين وطلاب العلم، ويصبروا على ما يكون منهم، ويتلطفوا بهم، حتى لا تحصل نفرة عن العلم.

وهذه الصفة نجدها في حياة الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله، قال الضياء: كان الحافظ عبد الغني رحمه الله يكرم الطلبة، ويحسن إليهم، وإذا صار عنده طالب يفهم أمره بالرحلة، ويفرح لهم بسماع ما يحصلونه، وبسببه سمع أصحابنا الكثير^(٣).

إن من صور معاملة الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله مع طلبته وشيوخه ومحبيه، ما ذكره الضياء قال: كان عبد الغني حسن الخلق، رأيته وقد ضاق صدر بعض أصحابه في مجلسه، وغضب، فجاء إلى بيته وترضاه، وطيب قلبه^(٤).

فانظر إلى تواضعه وحرصه على أصحابه، إنه يتجشم المسير إلى صاحبه ليطيب خاطره، وكم لهذا المسير وتلك الزيارة من أثر نافع، في تأليف قلب صاحبه، وجبر خاطره، وهكذا

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١٨٤/١)

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ٦٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٢١).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (١٩/٣).

من وفقه الله سبحانه من الدعاة تراه جامعاً لقلوب أصحابه، يتفقد أحزانهم، ويواسيهم، ويسعى في جبر خاطرهم، فإن تأثر أحد أصحاب الداعية من إخوانه الدعاة ثلثة يصيب الجهد الدعوي، فيحسن بالداعية الموفق أن يجعل من اهتمامه الحرص على وحدة صف طلبة العلم والدعاة، بكل ما أوتي من وسيلة وقدرة على جمع القلوب وتجسير الخواطر. ثم إنه لا بد للداعية والعالم أن يقدر لتلاميذه صغر سن بعضهم، وحبه للفكاهة والطرفة، ولو في مجلس علم، فهذا يزيد الطالب نشاطاً ورغبة في ملازمة مجلس العلم، ولقد كان الحافظ رحمه الله يحرص على الأخذ بهذا الأسلوب الدعوي في التعليم.

قال الضياء: وكنا يوماً عنده نكتب الحديث ونحن جماعة أحداث، فضحكنا من شيء وطال الضحك، فرأيته يتبسم معنا، ولا يجرد علينا^(١).

وأما معاملته للعامة، فكان شديد الحب لعموم المسلمين، فإنه كرس جهده في بذل العلم لهم، وإلقاءه العلم في مجالس عامة، فكان يجعل تلك المجالس العامة لوعظ عموم المسلمين، وتسهيل مسائل العلم، وإلقاءه في طرح مشوق، وتغلب عليها: "الأحاديث والحكايات"، وقد جمعها في أجزاء جاوزت المئة، والجزء عند المحدثين بمحدود عشرين ورقة^(٢).

المطلب الثالث: أسلوب التعليم:

عرض الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله مسائل العقيدة بأسلوب شيق، وتحقيق متين، وكتابه الاقتصاد في الاعتقاد يعد من أهم المختصرات المؤلفة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة. وتقرير الحافظ عبد الغني مستمد من كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، قائم عليهما، فتجده رحمه الله يذكر العقيدة ويتبعها بدليلها^(٣).

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١٩/٣).

(٢) تاريخ الإسلام (٤٤٦/٤٢).

(٣) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني لعبد الرزاق البدر (ص ١١).

يقول الحافظ عبد الغني في مقدمة عقيدته: والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال الله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ^(١). وقال عز وجل: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ^(٢)، وقال عز وجل: وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا^(٣). وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون»، وفي رواية: «بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»، ولمسلم وأبي داود: «أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»^{(٤)(٥)}.

وقال أيضا: (اعلم وفقنا الله وإياك لما يرضيه من القول والنية والعمل، وأعادنا وإياك من الزبغ والزلل، أن صالح السلف وخيار الخلف وسادة الأئمة وعلماء الأمة اتفقت أقوالهم وتطابقت آراؤهم على الإيمان بالله عز وجل وأنه واحد فرد صمد، حي قيوم سميع بصير لا شريك له...)^(٦).

وقال في حديثه عن أهل السنة: ووسعتهم السنة الحمدية، والطريقة المرضية، ولم يتعدوها إلى البدعة المردية الردية، فحازوا بذلك الرتبة السنية، والمنزلة العلية^(٧).
ويدل على ما تقدم ما ذكره الضياء المقدسي رحمه الله فقال: وسمعت بعض أصحابنا يقول: إن الحافظ أمر أن يكتب اعتقاده، فكتب: أقول كذا؛ لقول الله كذا، وأقول كذا؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، حتى فرغ من المسائل التي يخالفون فيها، فلما

(١) سورة التوبة: الآية رقم ١٢٤.

(٢) سورة الفتح: الآية رقم ٤.

(٣) سورة المدثر: الآية رقم ٣١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٥)، وأبو داود في سننه رقم (٤٦٧٦).

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٨١-١٨٢).

(٦) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٥١).

(٧) التذكرة (٤/ ١٣٧٧).

وقف عليها الملك الكامل، قال: إيش في هذا؟ يقول بقول الله عز وجل، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، قال: فخلي عنه^(١).

إذا فدور الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله في ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة، إنما هو في جمعها، وترتيبها، وتنظيمها، وليس له فيها شيء أنشأه من قبل نفسه، وشاهد هذا أنك لا تجد فيها شيئاً إلا وهو مستند إلى دليل من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالعقيدة السلفية إنما تبنى عليهما، وأنها إن لم تكن كذلك أخذت بصاحبها إلى سبيل الردى والهلاك والضلال.

وقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول: أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم^(٢).

ومن أسلوبه التعليمي رحمه الله تركيزه على تقرير معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته: فقد أمرنا ربنا بالإيمان به، وأمرنا بالإيمان بما وصف به نفسه وبما صفه به رسوله عليه الصلاة والسلام، فلا يوجد في خلق الله أحد أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وسلم. ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الأصل في باب الصفات أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسوله نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبتته لنفسه، ويُنفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه - مع ما أثبتته من الصفات - من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته،

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٩٨ - ٢٠٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٦١).

فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته، كما قال تعالى: **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** (١)(٢).

إن من يتبع حياة الحافظ عبد الغني رحمه الله العلمية والدعوية يجد أنه أنفق كثيرا من أيامها في الدعوة للعقيدة السلفية، وناصح عنها، وبينها، وأوضحها، وصبر في سبيل بيانها، وتحمل أنواع من الأذى، وكان مما يركز الحافظ على بيانه هو مذهب السلف في أسماء الله وصفاته فمن أقواله: (الحمد لله المتفرد بالكمال والبقاء والعز والكبرياء الموصوف بالصفات والأسماء المنزه عن الأشباه والنظراء الذي سبق علمه في بريته بمحكم القضاء من السعادة والشقاء واستوى على عرشه فوق السماء)(٣).

وقال أيضا: (وأنه عز وجل موصوف بصفاته القديمة، التي نطق بها كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وضح بها النقل عن نبيه وخيرته من جميع خلقه، محمد سيد البشر، الذي بلغ رسالة ربه، ونصح لأئمة، وجاهد في الله حق جهاده)(٤).

وقال أيضا: (فآمنوا -يعني السلف الصالح- بما قال الله سبحانه في كتابه، وضح عن نبيه، وأمروه كما ورد، من غير تعرض لكيفية، أو اعتقاد شبهة، أو مثلية، أو تأويل يؤدي إلى التعطيل، ووسعتهم السنة المحمدية، والطريقة المرضية، ولم يتعدوها إلى البدعة المردية الردية، فحازوا بذلك الرتبة السنية والمنزلة العلية، فمن صفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه، ونطق بها كتابه، وأخبر بها نبيه: أنه مستو على عرشه كما أخبر عن نفسه... -إلى أن قال- ومن الصفات التي نطق بها القرآن وصحت بها الأخبار الوجه... فهذه

(١) سورة الأعراف: الآية رقم ١٨٠.

(٢) العقيدة التدمرية (ص ٦-٧).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٣٧).

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٣٨).

صفة ثابتة بنص الكتاب، وخبر الصادق الأمين، فيجب الإقرار بها، والتسليم، كسائر الصفات الثابتة بواضح الدلالات^(١).

أيها القارئ المبارك هكذا الداعية الصادق في دعوته للتوحيد، يوضح مذهب السلف، ولا يمنعه تخرج من مخالفين، مع لزومه حسن الأدب في البيان، كما هو حال الحافظ كما ترى، فقد بين بأسلوب رائع للسامع والقارئ، لا تنغير فيه، ولا سباب، بل ذكر نصوص الكتاب والسنة ومذهب السلف، بعيداً عن التكلف، والأسلوب الغامض في الطرح والإيضاح، إنه يعرض المعتقد الصحيح الذي لا يقبل في عرضه إلا بيانه بفقده وسلاسة أسلوب، لا تشدق ولا إيغال في مدهمات المسائل، وهكذا ينبغي على كل داعية أن يقتدي بهذا الإمام في بيانه، ويعتني بمسائل التوحيد، فإن الدعوة للتوحيد من أشرف ما يناط بالداعية الاشتغال به.

وكان رحمه الله لا يقتصر على التأليف في بيان معتقد السلف، بل يلقي الدروس العلمية المبينة للعقيدة الصحيحة في أسماء الله وصفاته، في جامع دمشق، ويسمع منه الطلاب والعامّة، ولا يبالي بمن عاداه من أهل الأهواء، مما جعل أهل الأهواء يدبرون له المكائد كما تقدم بيانه، يقول ابن كثير رحمه الله: وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبدالغني المقدسي، وذلك أنه كان يتكلم في مقصورة الحنابلة بالجامع الأموي، فذكر يوماً شيئاً من العقائد، فاجتمع القاضي ابن الزكي وضيء الدين الخطيب الدولي بالسلطان المعظم، والأمير صارم الدين برغش، فعقد له مجلساً فيما يتعلق بمسألة الاستواء على العرش والنزول والحرف والصوت، فوافق النجم الحنبلي بقية الفقهاء واستمر الحافظ على ما يقوله لم يرجع عنه، واجتمع بقية الفقهاء عليه، وألزموه بإلزامات شيعية لم يلتزمها، حتى قال له الأمير برغش: كل هؤلاء على الضلالة وأنت وحدك على الحق؟ قال: نعم، فغضب الأمير وأمر بنفيه من البلد، فاستنظره ثلاثة أيام فأنظره^(٢).

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٣٩-٥٠).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢٦/١٣).

وقال الضياء المقدسي: وكان ما اشتهر من إحصار اعتقاد الحنابلة، وموافقة أولاد الفقيه نجم الدين الحنبلي الجماعة، وإصرار الفقيه عبد الغني المقدسي على لزوم ما ظهر به من اعتقاده، وهو الجهة والاستواء والحرف. وأجمع الفقهاء على الفتوى بكفره^(١).
 فينبغي على كل من تصدى لتعليم المعتقد السلفي أن يكون على بصيرة راسخاً في علوم التوحيد، خاصة علم الأسماء والصفات، فإن أهل الأهواء سيحاجونه، ويلقون بشبهات، وربما لبسوا على العامة وبعض السلاطين، فيصورون هذا الداعية مبتدعاً ضالاً لكونه خالف ما هم عليه من البدع.

قال أبو المظفر الواعظ: كان الحافظ عبد الغني يقرأ الحديث بعد الجمعة، قال: فاجتمع القاضي محيي الدين، والخطيب ضياء الدين، وجماعة، فصعدوا إلى القلعة، وقالوا لواليها: هذا قد أضل الناس، ويقول بالتشبيه، فعقدوا له مجلساً، فناظرهم، فأخذوا عليه مواضع منها: قوله: " لا أنزهه تنزيها ينفي حقيقة النزول "، ومنها: " كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان "، ومنها مسألة الحرف والصوت، فقالوا: إذا لم يكن على ما كان فقد أثبت له المكان، وإذا لم تنزهه عن حقيقة النزول فقد جوزت عليه الانتقال، وأما الحرف والصوت فلم يصح عن إمامك وإنما قال إنه كلام الله، يعني غير مخلوق، وارتفعت الأصوات، فقال والي القلعة الصارم برغش: كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق؟ قال: نعم. فأمر بكسر منبره^(٢).

المطلب الرابع: أسلوب الترغيب:

لزوم طريق السلف الصالح منهج النجاة والفلاح، وهو مما يتميز به أهل السنة إذ أنهم يعودون في كل مسألة لما دل على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضوان الله عنهم.

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/١٩٠).

(٢) المرجع السابق (٢١/٤٦٤).

قال سبحانه وتعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"^(٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"^(٣).

وقال عبد الله بن مسعود: "إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثةً فعليكم بالعهد الأول"^(٤).

ولأن السلف الصالح رحمهم الله كانوا أعلم الناس بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وأفعاله وأقواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، لذلك فهم أشد الناس حباً للسنة، وأحرصهم على اتباعها، وأكثرهم موالاةً لأهلها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإنه متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق، وأعلمهم بالحقائق، وأقومهم قولاً وحالاً، لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق^(٥).

وها نحن نرى الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي كان يسير على منهج سلفه، ويلزم طريقهم، قولاً وفعلًا وتأليفاً، قاصداً بذلك حسن الدعوة إليه سبحانه، بأحسن أسلوب، وألطف عبارة، ليهدي القارئ والسامع، إلى لزوم الكتاب والسنة وطريق السلف.

(١) سورة النساء: الآية رقم ١١٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١٧١/٣ رقم (٢٦٥٢)، ومسلم في صحيحه ١٩٦٢/٤ رقم (٢٥٣٣).

(٣) رواه أبو داود في سننه ٦١٠/٢ رقم (٤٦٠٧)، والترمذي في سننه ٤٤/٥ رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في سننه رقم (٤٢)، وأحمد في المسند ١٢٦/٤ رقم (١٧١٨٤). وسنده صحيح.

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٢٦٨).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/١٤٠-١٤١).

ومن أقواله رحمه الله في ذلك: فالزم -رحمك الله- ما ذكرت لك من كتاب ربك العزيز، وكلام نبيك الكريم، ولا تحد عنه ولا تتبغ الهدى في غيره، ولا تغتر بزخارف المبطلين، وآراء المتكلفين، فإن الرشده والهدى والفوز والرضا فيما جاء من عند الله ورسوله، لا فيما أحدثه المحدثون، وأتى به المنتطعون من آرائهم المضمحلة، ونتائج عقولهم الفاسدة، وارض بكتاب الله وسنة رسوله عوضا من قول كل قائل، وزخرف وباطل^(١).

وقال في خاتمة كتابه الاقتصاد في الاعتقاد: فهذه جملة مختصرة من القرآن والسنة، وآثار من سلف، فالزمها، وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله، وصالح سلف الأمة ممن حصل الاتفاق عليه من خيار الأمة، ودع أقوال من كان عندهم محجورا مهجورا، مبعدا مدحورا، ومذموما ملوما، وإن اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم وجنحوا إلى اتباعهم، فلا تغتر بكثرة أهل الباطل^(٢).

ولهذا قال فيه ابن الديبني رحمه الله: وكان داعية إلى السنّة ناصرا له، فانتصب لعداوته رؤساء الأشعرية بدمشق، وأوذى، فسافر عن دمشق^(٣).

وقال ابن النجار رحمه الله: وكان كثير العبادة، متمسكا بالسنة، ولم يزل بدمشق إلى أن تكلم في الصفات والقرآن بشيء أنكره عليه أهل التأويل، وشنعوا به عليه، وأباحوا إراقة دمه^(٤).

المطلب الخامس: أسلوب التحذير والترهيب:

لقد أنعم الله سبحانه على أمة الإسلام بأن أكمل لها دينها وتم نعمته عليها قال سبحانه وتعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا**^(٥).

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٨٠).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٢٠٥ - ٢٠٧).

(٣) تاريخ بغداد (١٥/٢٧٣).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٣/١١).

(٥) سورة المائدة: الآية رقم ٣.

فسر هذه الآية حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس فقال: أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبداً، وقد رضي الله، فلا يسخطه أبداً^(١).

ولذلك فإن الله سبحانه حذرنا من الزيادة أو النقص في دينه، كما حذرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام من الإبتداع في الدين.

وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة وهي كثيرة متواترة، في النهي عن البدع والإبتداع، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^(٢)، وقال جل وعلا: أَمْ هُمْ شُرَكَاءَ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك^(٤). وقال صلى الله عليه وسلم: تركتم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي^(٥).

وقال: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد^(٦). وقال: وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة^(١).

(١) تفسير ابن جرير (جامع البيان) (٨٠/٨).

(٢) سورة الأنعام: الآية رقم ١٥٣.

(٣) سورة الشورى: الآية رقم ٢١.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه ١٦/١ رقم (٤٣)، وأحمد في المسند ١٢٦/٤ رقم (١٧١٨٢). وسنده

صحيح كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦١٠/٢).

(٥) رواه البزار في المسند ٣٨٥/١٥ رقم (٨٩٩٣)، والدارقطني في سننه ٤٤٠/٥ رقم (٤٦٠٦)،

والحاكم في المستدرک ١٧٢/١ رقم (٣١٩)، والبيهقي في السنن الكبرى ١١٤/١٠ رقم

(٢٠١٢٤). وسنده صحيح كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٥٥-٣٥٦).

(٦) رواه مسلم في صحيحه ١٣٤٣/٣ رقم (١٧١٨).

وإن العقل السليم يشنع البدع، ويقبحها، لأن فيها زيادة على ما جاء في الدين الكامل، ومن المعلوم لمن قرأ ولو يسير من أخبار الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله وتلمح شيئا من سيرته، ونظر في مصنفاته، يجد أن منهجه رحمه الله كان الدعوة إلى السنة ومنازمة البدع والتحذير منها والرد على دعواته فقد قال في حديثه عن أهل السنة: ووسعتهم السنة المحمدية، والطريقة المرضية، ولم يتعدوها إلى البدعة المردية الرديئة، فحازوا بذلك الرتبة السنية، والمنزلة العلية^(٢).

وكان رحمه الله يوصي بلزوم السنة ومجانبة البدع في مصنفاته ورسائله، قال: فالزم -رحمك الله- ما ذكرت لك من كتاب ريك العزيز، وكلام نبيك الكريم، ولا تحد عنه ولا تبغ الهدى في غيره، ولا تغتر بزخارف المبطلين، وآراء المتكلفين، فإن الرشد والهدى والفوز والرضا فيما جاء من عند الله ورسوله، لا فيما أحدثه المحدثون، وأتى به المنتطعون من آرائهم المضمحلة، ونتائج عقولهم الفاسدة، وارض بكتاب الله وسنة رسوله عوضا من قول كل قائل، وزخرف وباطل^(٣).

وكان يحذر من دعاة البدع ويسفه آراءهم ويحث على لزوم الكتاب والسنة والآثار، قال في خاتمة كتابه الاقتصاد في الاعتقاد: فهذه جملة مختصرة من القرآن والسنة، وآثار من سلف، فالزمها، وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله، وصالح سلف الأمة ممن حصل الاتفاق عليه من خيار الأمة، ودع أقوال من كان عندهم محقورا مهجورا، مبعدا مدحورا، ومذموما ملوما، وإن اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم وجنحوا إلى اتباعهم، فلا تغتر بكثرة أهل الباطل^(٤).

(١) رواه أبو داود في سننه ٦١٠/٢ رقم (٤٦٠٧)، والترمذي في سننه ٤٤/٥ رقم (٢٦٧٦)، وأحمد في المسند ١٢٦/٤ رقم (١٧١٨٤). وسنده صحيح كما قال الترمذي والحاكم في المستدرک (١٧٤/١).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٥٢).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٢٠٥ - ٢٠٧).

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٢٢١).

وكان الحافظ رحمه الله يصدع بالحق، وينهى عن البدع، وهو يعلم أن الدرب مخوف وشائك، لكنه أخذ على نفسه الوفاء لله سبحانه، الذي أخذه على العلماء، في قوله سبحانه: **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ** (١).

وخاف رضي الله عنه من كتمان العلم، فقد حذر سبحانه من كتمان الكتاب والبيئات، كما قال سبحانه: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** (٢).

قال الضياء المقدسي رحمه الله: وكان المبتدعة قد أوعروا صدر العادل على الحافظ وتكلموا فيه عنده وكان بعضهم يقول: ربما يقتله إذا دخل عليه، فسمعت أن بعضهم بذل في قتل الحافظ خمسة آلاف دينار (٣).

وكان الحافظ لا يكفر هؤلاء المبتدعة مع إجماعهم أحيانا على كفره، بل وبذل بعضهم أموالا لقتله، وتحريضهم السلطان على قتله، فإن الحافظ رضي الله عنه يترفع عن الخصومات الشخصية وحطوط النفس، مع حرصه على هداية من خالفه، فإنه كان يجاجج بالدليل والبرهان ينصر الحق ولا يكثر بما حاك له أعداؤه، ودبروه.

جاء في ذيل طبقات الحنابلة ما نصه: اجتمع الشافعية والحنفية والمالكية عند المعظم عيسى والصارم برغش والي القلعة، وكانا يجلسان بدار العدل للنظر في المظالم. قال: وكان ما اشتهر من إحضار اعتقاد الحنابلة، وموافقة أولاد الفقيه نجم الدين الحنبلي الجماعة، وإصرار الفقيه عبد الغني المقدسي على لزوم ما ظهر به من اعتقاده وهو الجهة والاستواء والحرف. وأجمع الفقهاء على الفتوى بكفره وأنه مبتدع لا يجوز أن يترك بين المسلمين ولا يحل لولي الأمر أن يمكنه من المقام معهم، وسأل أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد فأجيب (٤).

(١) سورة آل عمران: الآية رقم ١٨٧.

(٢) سورة البقرة: الآية رقم ١٥٩.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٩٨ - ٢٠٣).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٢٢).

وهنا مسألة مهمة وهي الانتقال بالدعوة، فإننا نجد في القصة السابقة أنه رحمه الله رأى أن يرحل وينتقل بدعوته، فحصل له ذلك، لأن همته في نشر المعتقد الصحيح في أرض الله.

وذكر أيضا: أن الحافظ عبد الغني خرج إلى بعلبك ثم سافر إلى مصر، فنزل عند الطحانين، وصار يقرأ الحديث، فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وكتب أهل مصر إلى الصفي بن شكر وزير العادل: أنه قد أفسد عقائد الناس، ويذكر التجسيم على رؤوس الأشهاد، فكتب إلى والي مصر بنفيه إلى المغرب فمات قبل وصول الكتاب^(١).

المبحث الثاني: الوسائل الدعوية عند الحافظ عبد الغني المقدسي:

المطلب الأول: التدريس وطريقته في ذلك:

العالم الرباني يجمع بين التزام المنهج العلمي في التعليم، وبين مراعاة حال المتلقي، فهو يزن بميزان الحكمة في الدعوة، ليتحقق له قيامه بحسن التعليم.

فمن المنهج العلمي في التعليم أن يحرص على ربط الطلاب بالكتاب والسنة، فيجمع بين حثهم على حفظ هذين النورين، وبين تفقهم فيهما.

وأما مراعاة حال المستفيد من العالم فتتجلى في أمرين: التدرج في التعليم، والاقتصاد في إلقاء الدروس، على من يلازم العالم سواء في المسجد أو المؤسسة التعليمية.

ولقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يُذكر الناس، ويحدثهم ويعظهم كل خميس، ويذكر دليله على ذلك من هدي النبي عليه الصلاة والسلام، فعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يعني من ذلك أي أكره أن أملككم، وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها، مخافة السامة علينا

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٢٢).

"^(١). ولهذا بوب الإمام البخاري على حديث ابن مسعود بقوله: باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة"^(٢). وبوب عليه النووي رحمه الله قائلا: باب الاقتصاد في الموعدة"^(٣). وهكذا كان الحافظ عبد الغني رحمه الله في دروسه، فإننا نراه يحدث في جامع دمشق مرتين في الأسبوع، في ليلة الخميس يقرأ الحديث، وبعد صلاة الجمعة. قال الضياء المقدسي رحمه الله: كان يقرأ الحديث ليلة الخميس وبعد الجمعة بجامع دمشق ويجتمع خلق ويكي الناس كثيرا ثم يطول لهم الدعاء"^(٤). ولا بد للعالم وللداعية من أن يرغب الناس، والتلاميذ خاصة، بسماع علمه، مهما كان علمه غزيراً وواسعاً، وينبغي عليه اتخاذ ما هو مناسب من وسائل، في ترغيب الناس في حضور دروسه ومحاضراته مع تحقيق الإخلاص لله سبحانه. قال الواعظ أبو الحسن بن نجاة على المنبر بالقرافة: جاء الحافظ وهو يريد أن يقرأ الحديث فاشتهد أن تحضروا مجلسه ثلاث مرات وبعدها أنتم تعرفونه وتحصل لكم الرغبة فيه؛ فجلس أول يوم بجامع القرافة وحضرت فقرأ أحاديث بأسانيدنا حفظاً وقرأ أخرى ففرح الناس به، ثم سمعت ابن نجاة يقول: حصل مرادي في أول مجلس، إلى أن قال: وكان لا يضيع شيئاً من زمانه"^(٥). ومما يحسن بالعالم والداعية أن ينوع في اختيار أوقات درسه، فلا يجعل درسه في وقت واحد، يثبت فيه أشهر أو سنين، ولا يفتح درساً آخر في وقت آخر، فإني أرى أن التنويع في أوقات الدروس تحصل به فوائد.

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٠)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٢١).

(٢) صحيح البخاري ٢٥/١.

(٣) صحيح مسلم ٢١٧٢/٤.

(٤) تاريخ الإسلام (٤٤٨/٤٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٤٤٦/٢١).

وقد كانت دروس الحافظ عبد الغني كما يحكيها أخوه العماد المقدسي فيقول: كان يصلي الفجر، ويشغل بالقرآن والذكر، ثم يعقد مجلساً للتحديث، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي تطوعاً حتى وقت القيلولة^(١).

ومن دروسه العامة ما كانت في جامع دمشق في كل يوم جمعة وليلة الخميس، يقول الضياء المقدسي رحمه الله: كان الحافظ يقرأ الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع دمشق، وليلة الخميس بالجامع أيضاً ويجتمع خلق كثير، وكان يقرأ ويبكي، ويبكي الناس بكاء كثيراً، حتى إن من حضر مجلسه مرة، لا يكاد يتركه، لكثرة ما يطيب قلبه، وينشرح صدره فيه، وكان يدعو بعد فراغه دعاء كثيراً^(٢).

ومن دروسه الخاصة ما حكاها الشيخ الموفق: أهما أقاما عنده نحواً من أربعين يوماً، ثم مات، وأهما كانا يقرآن عليه كل يوم درسين من الفقه، فيقرأ هو من "الخرق" من حفظه، والحافظ من كتاب "المهداية"^(٣).

وسمعت خالي أبا عمر أو والدي قال: كان الملك نور الدين بن زنكي يأتي إلينا، وكنا نسمع الحديث، فإذا أشكل شيء على القارئ قاله الحافظ عبد الغني، ثم ارتحل إلى السلفي، فكان نور الدين يأتي بعد ذلك، فقال: أين ذاك الشاب؟ فقلنا: سافر^(٤).

كما كانت للحافظ عبد الغني المقدسي دروس في كل مكان ينزله، فلما رحل إلى القرافة بمصر كانت له دروس في الحديث وسماعه، يقول أبو الحسن علي بن نجا الواعظ بالقرافة وهو على المنبر: قد جاء الإمام الحافظ، وهو يريد أن يقرأ الحديث، فاشتبه أن تحضروا مجلسه ثلاث مرات، وبعدها أنتم تعرفونه، ويحصل لكم الرغبة فجلس، أول يوم وكنت

(١) سير أعلام النبلاء ٤٥٣/٢١.

(٢) تاريخ الإسلام ٤٤٨/٤٢.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (١٨٣/١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٢١).

حاضرا بجامع القرافة، فقرأ الأحاديث بأسانيدھا عن ظهر قلبه، وقرأ جزءا، ففرح الناس بمجلسه فرحا كثيرا، فقال ابن نجا: قد حصل الذي كنت أريده في أول مجلس^(١).

وكان يلقي عدداً من دروسه وهو على المنبر، قال الضياء: وشاهدت الحافظ غير مرة بجامع دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المنبر، اقرأ لنا أحاديث من غير أجزاء فيقرأ الأحاديث بأسانيدھا عن ظهر قلبه^(٢).

المطلب الثاني: الكتابة والتأليف والمراسلات:

إن الحافظ رحمه الله كان يفيد من أسلوب الجدل، فيقرر الحكم، ثم يأتي بدليله، ثم يرد على المخالف، مفيدا من وسيلة التأليف للرسائل والكتب.

ويمكن لنا أن نعرض بعض ردود الحافظ عبد الغني المقدسي على أهل البدع، والتحذير منهم، من خلال كتابه الاقتصاد في الاعتقاد:

قال رحمه الله: (ومن قال يخلو العرش عند النزول أو لا يخلو فقد أتى بقول مبتدع ورأي محتع)^(٣).

وقال أيضا: (وكل ما قال الله عز وجل في كتابه وصح عن رسوله بنقل العدل عن العدل مثل الحبة والمشيمة، والإرادة، والضحك، والفرح، والعجب، والبغض، والسخط، والكره، والرضا، وسائر ما صح عن الله ورسوله وإن نبت عنها أسماء بعض الجاهلين واستوحشت منها نفوس المعطلين)^(٤).

وقال أيضا: (ونؤمن بأن ملك الموت أرسل إلى موسى عليه السلام فصكه ففقأ عينه كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا ينكره إلا ضال مبتدع، راد على الله ورسوله)^(٥).

(١) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٤٨)، تذكرة الحفاظ (٤/١١٣).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/١٨٤).

(٣) عقيدة تقي الدين عبد الغني المقدسي (ص ٥٥).

(٤) عقيدة تقي الدين عبد الغني المقدسي (ص ٥٦).

(٥) عقيدة تقي الدين عبد الغني المقدسي (ص ٩٥-٩٦).

وقال أيضا: (واعلم رحمك الله أن الإسلام وأهله أتوا من طوائف ثلاث: فطائفة ردت أحاديث الصفات، وكذبوا روايتها، فهؤلاء أشد ضرراً على الإسلام وأهله من الكفار. وأخرى: قالوا بصحتها وقبولها، ثم تأولوها، فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأولى، والثالثة: جانبوا القولين الأولين، وأخذوا بزعمهم ينزهون، وهم يكذبون، فأداهم ذلك إلى القولين الأولين، وكانوا أعظم ضرراً من الطائفتين الأولين)^(١).

وله على بعض أقوال أهل البدع تعقيبات تتضمن إيضاح تهافت آراء المخالفين، ومما اشتمل عليه الكتاب من مسائل العقيدة: الحديث عن القضاء والقدر، والإسراء والمعراج، والحوض، وعذاب القبر، ومسألة منكر ونكير، والجنة والنار، والإيمان بالميزان، ثم تحدث عن مسائل الإيمان، وخروج الدجال، ونزول عيسى، والإيمان بملك الموت، وأنه يذبح يوم القيامة على هيئة كبش أملح، ثم تحدث عن خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم والمفاضلة بين الخلفاء وسائر الصحابة، والشهادة لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، وعن فضل الإتيان وخطر الإبتداع.

ومن أقواله وما نقله أهل العلم عنه في هذا الباب، ما قال الضياء: ثم سمعت ابن نجما يقول: حصل مرادي في أول مجلس، إلى أن قال: وكان لا يضيع شيئاً من زمانه، كان يصلي الفجر ويلقن القرآن وربما لقن الحديث ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبيل الظهر فينام نومة فيصلي الظهر ويشغل بالتسميع أو النسخ إلى المغرب فيفطر إن كان صائماً^(٢).

واشتهر الحافظ عبد الغني رحمه الله بكثرة التصنيف وحسنها، قال ابن كثير رحمه الله: الحافظ عبد الغني المقدسي ابن عبد الواحد بن علي بن سرور الحافظ أبو محمد

(١) عقيدة تقي الدين عبد الغني المقدسي (ص ١١٢-١١٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٦).

المقدسي، صاحب التصانيف المشهورة، من ذلك الكمال في أسماء الرجال، والاحكام الكبرى والصغرى وغير ذلك^(١).

وذكره ابن النجار في تاريخه، فقال: حدث بالكثير، وصنف تصانيف حسنة في الحديث^(٢).

وقال الحافظ ابن رجب: وسمعت يوسف بن خليل بحلب يقول عن عبد الغني: كان ثقة، ثبتاً، ديناً مأموناً، حسن التصنيف، دائم الصيام، كثير الإيثار^(٣).

ولا يخفى على من له حظ من عناية بالدعوة والتعليم من أن التأليف هو من أنفع وسائل نشر العلم والدعوة فكم من عالم بقي له أثر في هداية الناس بعد موته بما تركه من كتب ألفها وانتفعت بها الأمة الإسلامية، فالداعية الفطن لا يقتصر في دعوته على مواعظ ومحاضرات ودروس لا تدون ولا تصاغ في كتب، وينتهي أثرها في وقت سماعها غالباً، فحري بالداعية أن يجعل من اهتمامه تأليف كتب ومصنف، فهذا يبقى ونفعه دائم بإذن الله.

وأما مراسلات الحافظ عبد الغني ورسائله، فإن كتابة الرسائل وسيلة دعوية لها أصلها من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك رسالته إلى رسالته إلى قيصر مالك الروم، وكسرى ملك الفرس، والمقوقس حاكم مصر، والنجاشي ملك الحبشة، والمنذر بن ساوى أمير البحرين، وهوذة الحنفي أمير اليمامة.

وإن للعلماء قديماً وحديثاً مراسلات تدور بينهم من أجل أمور عدة، كطلب فتوى، أو طلب نصح وإرشاد، أو إهداء كتب، أو للسلام بعد الفراق، أو مراسلات ودية للمحبة والصدقة، لكن هذه المراسلات تمتاز بلغة أدبية راقية، واحترام متبادل بين العلماء.

(١) البداية والنهاية (٤٦/١٣).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١٨٤/١).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (١٨٤/١).

وتحمل في طياتها طابع الدعوة إلى الله فتدعو إلى خير وبر، وتنهى عن منكر، ومن هذه المراسلات ما كتبه الحافظ عبد الغني المقدسي، يذكر في رسالة ما منَّ به سبحانه عليه من نصر وذلك تثبيت لأصحابه ومن اتبعه على السنة وتبشير لهم جميعاً بتوفيقه سبحانه الذي امتن به على الحافظ عبد الغني رحمه الله.

قال محمود بن سلامة رحمه الله: قرأت بخط الحافظ عبد الغني ما كتبه إلى دمشق، ونصه: والملك العادل اجتمعت به، وما رأيت منه إلا الجميل، فأقبل عليّ وأكرمني، وقام لي والتزمي، ودعوت له. ثم قلت: عندنا قصور، فهو الذي يوجب التقصير، فقال: ما عندك لا تقصير ولا قصور، وذكر أمر السنة، فقال: ما عندك شيء يعاب في أمر الدين ولا الدنيا، ولا بد للناس من حاسدين^(١).

ثم إن بعض من مؤلفاته في حقيقتها رسائل دعوية وعلمية مثل: رسالته في الجواب عن سؤال معنى لا إله إلا الله بكل مكان، ورسالته في ذم الرأي، وذم الغيبة، ورسالته في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك.

المطلب الثالث: انتقاله بالدعوة:

إن الانتقال بالدعوة وسيلة دعوية نافعة للدعوة وللدعاة، وهي باقية صالحة في كل زمان، يفيد منها الداعية في نشر العلم والدعوة إلى الخير، وقدوتنا في ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد انتقل بدعوته من مكة إلى الطائف، وكان له ثمار عظيمة، ثم أمر الله بالهجرة إلى المدينة المنورة، فكانت طيبة منطلق الدعوة الثاني للعالم، ومنارة الهدى، وأقام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفاه الله سبحانه.

ينبغي أن ينبه العالم إلى أمرين مهمين:

أولهما: أن دعوته للحق ليست محصورة في أناس من بلده، أو من قومه، بل دعوته هي الإسلام، التي جاء بها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ودعوة رسول الله عليه الصلاة

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/١٩٢).

والسلام دعوة للناس كافة، قال سبحانه: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(١).

قال الإمام ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين
بالله من قومك خاصة، ولكننا أرسلناك كافة للناس أجمعين، العرب منهم والعجم،
والأحمر والأسود، بشيرا من أطاعك، ونذيرا من كذبك^(٢).

وقال ابن عطية الأندلسي رحمه الله: هذا إعلام من الله تعالى بأنه بعث محمدا صلى الله
عليه وسلم إلى جميع العالم، و«الكافة» الجمع الأكمل من الناس، وكافةً نصب على
الحال وقدمها للاهتمام، وهذه إحدى الخصال التي خص بها محمد صلى الله عليه وسلم
من بين الأنبياء^(٣).

فعلى الداعية أن يجعل دعوته عامة وينتقل بها من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد ليعم
نفعه ويكثر المنتفعون بدعوته.

والأمر الثاني: أنه يتأكد على الداعية أن ينتقل بدعوته من المكان الذي يضيق عليه فيه
ما أمكنه ذلك ولا يتوقف عن الدعوة بحجة تعرض أهل بلد له فهو حامل لرسالة شرفها
عظيم وهي أمانة لا بد أن يبلغها ويبذل في سبيل بلاغه ترك الأوطان ما دام مضطراً
لذلك.

ونرى في سيرة الحافظ الدعوية هذين الأمرين متحققان رضي الله عنه، فدعوته عامة لكل
المسلمين، وثانيهما أنه كان ينتقل بدعوته من بلد إلى بلد، فكلما ضيق عليه في بلد رحل
إلى بلد آخر، ليقوم بدعوته حتى توفاه الله سبحانه.

(١) سورة سبأ: الآية رقم ٢٨.

(٢) تفسير الطبري (٢٨٨/١٩).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/٤٢٠).

قال الضياء: ورحل الحافظ إلى السلفي في سنة ست وستين، فأقام مدة، ثم رحل أيضا إلى السلفي سنة سبعين، ثم سافر سنة نيف وسبعين إلى أصبهان، فأقام بها مدة، وحصل الكتب الجيدة^(١).

فها أنت ترى الحافظ يواصل رحلاته، ولم يكن قصده تحصيل دنيا، ولا جاه في الناس، ولا بحثا عن سلطان، بل أنه يجد من يعرض عليه أن يعاضده، في أخذ حقه ممن ظلمه من أهل دمشق، فيأبى، فمراده كان رضي الله عنه تبليغ الدين، وبيان المعتقد الصحيح.

وقال: بعدما حدث للحافظ من محن على يد أعدائه في دمشق، خرج منها إلى بعلبك فأقام بها مدة، فقال له أهلها: إن اشتهيت جننا معك إلى دمشق نؤذي من آذاك فرفض الحافظ حرصًا على السلامة وعدم إثارة أدنى فتنة بين المسلمين^(٢).

المطلب الرابع: القدوة الحسنة:

لقد كان سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القدوة الذي تقتدي به البشرية، قال سبحانه وتعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا^(٣).

ونجد ذلك واضحا في سلوك الصحابة طيلة مصابحتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته، والسيرة مشرفة بتلك المواقف، ففي صلح الحديبية، وبعد مشورة النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة، وقولها: أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلق لك، فقام، ففعل ذلك، فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يخلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما^(٤).

والعلماء ورثة الأنبياء في تأسى الناس بهم، وهذا يحتم على من يتصدى بالتعليم والدعوة، أن يكون قدوة حسنة يدعو إلى الله بهديه ودله وقوله وفعله، فالقدوة الحسنة هي من

(١) سير أعلام النبلاء (٤٤٦/٢١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٤٦/٢١).

(٣) سورة الأحزاب: الآية رقم ٢١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٣١).

أفضل الوسائل الدعوية، وأقربها لنجاح دعوة الداعية، وأكثرها فاعلية في حياة الدعاة، ولا بد من تنبه الداعية إلى مقتضى مسؤولية كونه قدوة للناس في الخير، فينبغي عليه أن يفعل ما هو محمود، ويجتنب ما هو مذموم، بل ويجتنب ما يشكل على الناس من الأفعال، ويسد الباب الموهم لهم بسوء الظن به.

وقد قعد الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله قاعدة في الاقتداء سواء في الخير أو الشر بعدما ذكر حديث اعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم وخروجه مع زوجته صفية بالليل، فقال: على رسلكما إنما هي صفية^(١)، قال: وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدى به، فلا يجوز أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم، وإن كان لهم فيه مخلص، لأن ذلك سبب إلى ابطال الانتفاع بعلمهم^(٢).

وهكذا كان الحافظ رحمه الله حريصاً على سلوك سبيل المثل الأحسن لطلابه وأتباعه، ومن يرصد ما يقع منه، فالحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله قدوة لكل من عاصره، أو تتلمذ عليه في العلم والعبادة والدعوة إلى الله.

وقد وصفه الإمام الذهبي رحمه الله فقال: الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري المتبع^(٣).

وقال الشيخ الموفق: كان رفيقي وما كنا نستيق إلى خير إلا سقني إليه إلا القليل، وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة وقيامهم عليه ورزق العلم وتحصيل الكتب الكثيرة إلا أنه لم يعمر حتى يبلغ غرضه في روايتها ونشرها^(٤).

وحين نطالع صفحات سيرة الحافظ رضي الله عنه نجد أنه يجمع بين الدعوة بالقول والدعوة بالفعل، فيؤيد أقواله بمواظبته والتزامه بما يدعو إليه.

(١) رواه البخاري في صحيحه ٤٩/٣ رقم (٢٠٣٥)، ومسلم في صحيحه ١٧١٢/٤ رقم

(٢١٧٥).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (ص ٢٩٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٤٣/٢١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٥٩/٢١).

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن غانم بأصبهان: كان الحافظ عبد الغني عندنا، وكان يقول لي: تعال حتى نحافظ على الوضوء لكل صلاة^(١).

وكذلك نجد الحافظ رضي الله عنه يرشد إلى لزوم الدوام، في التزام سبيل الخير، ويرشد بحاله ومقاله إلى أهمية الاقتداء بهم، وهذا يؤكد للسامع الإفادة المستمعة من اقتداءه بالحافظ.

قال أبو موسى ولده: كنت عند والدي، وهو يذكر فضائل سفيان الثوري، فقلت في نفسي: إن والدي مثله، فالتفت إلي وقال: أين نحن من أولئك^(٢).

ويذكر الملازمون له حرصه على تطبيق السنة، مما كان له أثر في أنفسهم، دعاهم لذكر ما شاهدوه من حرصه على السنة، وهذا ولا ريب يدعوهم ومن قرأ كلامهم لمعرفة كيف كان الحافظ قدوة في أعماله، كما كان قدوة فيما يدعو إليه بقوله. قال الضياء المقدسي: وكان يستعمل السواك كثيرا، حتى كأن أسنانه البرد^(٣).

إن الداعية الذي يحرص على تطبيق سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والأخذ بها، والتأسي به عليه الصلاة والسلام في عبادته، وحسن أخلاقه، لا بد أن يجد ثمر حسن كونه قدوة، ومن تلك الثمار محبة الناس له، واجتماع قلوبهم على محبته، وكان هذا ظاهراً في حياة الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله ورضي عنه. قال الضياء المقدسي: ولما وصل إلى مصر كان إذ خرج يوم الجمعة إلى الجامع، لا تقدر ثمشي معه من كثرة الخلق الذين يجتمعون حوله^(٤).

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١٥/٣)، التاج المكلل (ص ٢٠٤).

(٢) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥٦).

(٣) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٤٩)، سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٣).

(٤) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥١).

وقال محمود بن سلامة الحراني بأصبهان: كان الحافظ بأصبهان، يصطف الناس في السوق، فينظرون إليه^(١). ولهذا قال ابن كثير رحمه الله: حصل له قبول -يعني من أهل دمشق^(٢).

(١) تاريخ الإسلام (٤٢/٤٥١)، شذرات الذهب (٦/٥٦٢).

(٢) البداية والنهاية (١٦/٦٥٧).

الخاتمة والنتائج:

- ١- الحافظ عبد الغني المقدسي حافظ متقن للحديث النبوي، وعالم فقيه رباني من سادات علماء السلف، شهد له بذلك علماء زمانه ومن بعدهم.
- ٢- كانت هناك مقومات كونت شخصية الحافظ الدعوية، وانبتت عليها مسيرته الدعوية، وأسس قامت عليها نجاحاته التي كانت في حياته وبعد وفاته إلى يومنا هذا.
- ٣- كان الحافظ مشتغلاً طيلة حياته بالدعوة إلى الله، معتنياً بشؤونها، باذلاً علمه، يتنقل بدعوته، صابراً على ما يلقاه في سبيل ذلك.
- ٤- كان رحمه الله يصدع بالحق بحكمة ويناظر وينوع في أساليب دعوته، وما يأخذ به من وسائل.

- ٥- كان قدوة لمن حوله أو لازمه أو عرفه في هديه ودله وجميع شأنه.
- ٦- في حياة الدعاة العاملين العبرة بالخاتمة والنهاية، وقد فتح الله سبحانه للحافظ بأنواع من النصر والتمكين في حياته، وبعد موته، فكتبه ورسائله بين أيدي طلبة العلم تُدرس وتُحفظ، ووصاياه ينتفع بها وتحفظ وتدرس.

التوصيات:

- ١- لابد من مزيد من الدراسات الدعوية لسير علماء السلف، ففي ذلك خير كثير للدعاة، وجميع طلاب العلم وعامة المسلمين.
- ٢- حبذا أن يكون هناك بحوث في دراسة تفصيلية تحليلية لما كتبه الحافظ في كتبه ورسائله، وأخذ الدروس الدعوية منها، واستنباط مزيد من القواعد في الدعوة إلى الله.
- ٣- هناك جوانب حبذا دراستها في سير الحافظ عبد الغني مثل جانب فقه الاحتساب عنده.

فهرس المصادر والمراجع:

- ١- الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ)، عالم الكتب، بيروت.
- ٢- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، محمد بن علي، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- ٣- إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، محمد بن ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، سنة ١٤٠٥هـ.
- ٤- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، لبنان، ط ١٥، سنة ٢٠٠٢م.
- ٥- الاقتصاد في الاعتقاد، عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (ت ٦٠٠هـ)، تحقيق: أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط ١، سنة ١٤١٤هـ.
- ٦- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، تحقيق: علي شيري، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، سنة ١٤٠٨هـ.
- ٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، سنة ١٤١٣هـ.
- ٨- تاريخ بغداد، الخطيب أحمد بن علي البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٤٢٢هـ.
- ٩- تاريخ دمشق، ابن عساكر علي بن الحسن الدمشقي (ت ٤٩٩هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥هـ.
- ١٠- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، محمد صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، سنة ١٤٢٨هـ.
- ١١- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: الصادق بن محمد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط ١، سنة ١٤٢٥هـ.

- ١٢- تذكرة الحفاظ، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٣- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، بدر الدين ابن جماعة الكنايني (ت ٧٣٣هـ)، تحقيق: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط٣، سنة ١٤٣٣هـ.
- ١٤- تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني لمقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس للنشر والتوزيع، ط١، سنة ١٤٢٤هـ.
- ١٥- تركية النفوس، أحمد فريد، دار العقيدة للتراث، مصر، سنة ١٤١٣هـ.
- ١٦- تفسير ابن جرير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٠هـ.
- ١٧- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٠هـ.
- ١٨- التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد، محمد بن عبد الغني ابن نقطة الحنبلي (ت ٦٢٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٠هـ.
- ١٩- التكملة لوفيات النقلة، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ.
- ٢٠- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وبشير عيون، مكتبة الحلواني ودار الفكر، بيروت، ط١، سنة ١٣٨٩هـ.
- ٢١- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سمير الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، سنة ١٤١٤هـ.

- ٢٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، سنة ١٤٢٢هـ.
- ٢٣- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٤- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، سنة ١٣٨٧هـ.
- ٢٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٩هـ.
- ٢٦- دلائل الإعجاز، الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٩٩٥م.
- ٢٧- ذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي محمد بن سعيد (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٧هـ.
- ٢٨- الذيل على الروضتين في تراجم رجال القرنين السادس والسابع، أبو شامة المقدسي عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ)، اعتنى به: محمد زاهد الكوثري، دار الكتب الملكية، القاهرة، ط١، سنة ١٣٦٦هـ.
- ٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار، الكويت، ط ٢٧، سنة ١٤١٥هـ.
- ٣٠- الزهد، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: يحيى بن محمد سوس، دار ابن رجب، مصر، ط٢، سنة ٢٠٠٣م.
- ٣١- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد الفاسي (ت ٨٣٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٠هـ.

- ٣٢- ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي، الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، سنة ١٤٢٥ هـ.
- ٣٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، سنة ١٤٢٢ هـ.
- ٣٤- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- ٣٥- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- ٣٦- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧١هـ)، تعليق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى الباي الحلبي، مصر، ط ٢، سنة ١٣٩٥ هـ.
- ٣٧- سنن الدارقطني، علي بن عمر البغدادي (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وجماعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، سنة ١٤٢٤ هـ.
- ٣٨- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، سنة ١٤١٤ هـ.
- ٣٩- سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ)، تعليق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، سوريا، ط ٢، سنة ١٤٠٦ هـ.
- ٤٠- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٤١- السيرة النبوية: ابن هشام عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، سنة ١٣٧٥ هـ.

- ٤٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحلي بن أحمد ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٦هـ.
- ٤٣- شعب الإيمان، للبيهقي أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد العلي، ومختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، سنة ١٤٢٣هـ.
- ٤٤- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق النيسابوري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٤٥- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، تعليق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٢هـ.
- ٤٦- صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.
- ٤٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٤٨- العبر في خبر من غبر، الذهبي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٩- العقيدة التدمرية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٦، سنة ١٤٢١هـ.
- ٥٠- فتح الباري لابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، عناية: محب الدين الخطيب، وتعليقات: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٧٩هـ، (١٣ جزء).
- ٥١- لسان العرب، ابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، سنة ١٤١٤هـ.
- ٥٢- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت ٧٢٨هـ)، اعتنى به: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، السعودية، سنة ١٤١٦هـ.

- ٥٣- مرشد الدعاة، محمد الخطيب، دار المعرفة، سنة ١٤٠١هـ.
- ٥٤- المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، إشراف: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٥٥- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ابن النجار، انتقاء ابن الدمياطي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٦- المسند، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر.
- ٥٧- المسند، البزار (البحر الزخار)، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط ١.
- ٥٨- المعجم الأوسط، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة.
- ٥٩- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٢، سنة ١٩٩٥م.
- ٦٠- المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢.
- ٦١- مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور محمد الطاهر، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف الإسلامية بقطر، سنة ١٤٢٥هـ.
- ٦٢- المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ابن مفلح الحنبلي، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، سنة ١٤١٠هـ.
- ٦٣- معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، بيروت.
- ٦٤- موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، دار النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب.

- ٦٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)،
وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.
- ٦٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)،
تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٩هـ.
- ٦٧- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار
الحديث، مصر، ط ٣، سنة ١٩٩٩م.
- ٦٨- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق:
أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ.